إِعلَامُ ذِي الكَيَاسَةَ الوَلَيّ

بِبَعضِ أنباءِ صَاحِبِ الكُنَاسَةِ الإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيّ

إعداد الفقير إلى عفو الله القدير

إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي وفقه الله

منشورات

مركز الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح لنا أبواب الهداية، بمفاتيح العلم والدراية، وأوصد عنا أبواب الغواية، بأقفال التوفيق والتسديد والحماية، وأنار قلوبنا بمصابيح القبول للحق في البداية والنهاية، وأيقظنا من الغفلة بصروف المواعظ والعبر في كل سورة وآية، وأحيا موات حياتنا بنفخ الأرواح في ميادين العمل لمزيد العناية، وأطفأ عنا نيران الفتن بغيث الخلاص والوقاية، وسلمنا من الهلاك في أمواج الباطل بركوب سفن الحق المنجية من الغرق عند هبوب عواصف العماية، فكم له من نعمة لا تحصى بعدٍّ ولا يُدرك لها غاية، اللهم فأدم علينا هاطل الرحمة والمنة والكفاية، وارزقنا الشكر على ذلك كي ننال منك الزيادة في الطلب والسعاية.

ونشهد أن لا إله إلا الله الذي ليس له شبيه ولا شريك ولا لأوليته بداية، وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله المبعوث لتبليغ الهداية.

أما بعد:

فإن التاريخ الإسلامي مليء بالشخصيات العظيمة التي خلد التاريخ ذكرها، وكتبها في سطور صفحاته المشرقة، ومن ألمع وأعظم الشخصيات التي عرفها التاريخ الإسلامي، وتخلد ذكرها على مر الأزمنة والعصور، شخصية رائد من رواد الفكر والعقيدة الإسلامية، وقائد من قواد الحركة الفكرية والعسكرية، هو: الإمام الأعظم، الشهيد الأكرم، زيد

بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – عليهم السلام–، الذي بهر التاريخ علماً وفضلاً وورعاً وزهداً وشجاعة ونبلاً وفصاحة وبلاغة وسياسة وتضحية وفداء، وكان صاحب فكر وعقيدة، ورائد حركة، وقائد ثورة، ورئيس عصابة مؤمنة مرضية، وإمام فرقة إسلامية، ومحرر أمة من أسر الظلم، ومن قيود التقليد والجهل والعصبية.

الذي أجمعت أكثر الطوائف الإسلامية والفرق على تفضيله وعلمه، وأثنى عليه العلماء من شتى الفرق والمذاهب، وأصبح الكثير من العلماء المحققين ينسبون أنفسهم إليه وإلى عقيدته ومذهبه، وأصبحت كثير من الطوائف تتشبث به، وتنسب نفسها إليه، أو تنسبه إليها، وتجعله من روادها ومفكريها.

فترى المعتزلة تدخله ضمن طبقاتها، وتدعي كونه معتزلياً كما فعل ذلك القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي، وأثنى عليه علماء المعتزلة كالجاحظ في كتاب البيان والتبيين وشهد له بنهاية التقدم في علم الكلام، وكجعفر بن حرب في كتاب الديانة، وكمحمد بن عبد الله أبو جعفر الإسكافي وغيرهم، وينتسبون إليه في كتبهم، ويقولون: نحن زيدية، كما ذكر ذلك الإمام أبو طالب في الدعامة، ونشوان الحميري في الحور العين.

وترى أن أهل السنة ينسبون أنفسهم إليه، ويدعون اتباعه، ويجرونه إليهم، كما فعل ذلك الخطيب في كتابه (الإمام زيد المفترى عليه) حيث حاول أن يجعل زيداً عليه السلام أشعري المذهب.

وترى أن البعض من الإمامية يحاول نسبته إليها، ويتمسك بشبه أوهى

من نسج العنكبوت فيما يدعيه، وكذلك غيرها من الفرق.

فالإمام زيد عليه السلام يذكر مع المتكلمين إن ذكروا، ويذكر مع الزهاد إن ذكروا، ويذكر مع أهل الفقه ورواة الأحاديث إن ذكروا، ويذكر مع الشجعان وأهل المعرفة بالضبط والسياسة إن ذكروا، ويذكر مع الفصحاء والبلغاء، ويذكر مع المفسرين إن ذكروا، فهو البحر حدث عنه ولا حرج، ولفضله وسبقه تجاذبته الطوائف، وافتخرت بنسبتها إليه، أو نسبته إليها وإلحاقه بعظمائها وعلمائها، ولكن الإمام زيداً عليه السلام قد رسم مبادئه، وبين عقائده، التي يتضح بها منهجه ومبدؤه وعقيدته.

ولسنا بصدد التعرض لذكر كتبه ورسائله فقد ألفت فيها المؤلفات الجامعة، والكتب الواسعة، فقد جمعتُ رسائله وكتبه في كتاب (مجموع ورسائل الإمام زيد عليه السلام)، وقد طبع في سنة ١٤٢٢هـ.

وكذلك جمع سيرته وكتبه وعقيدته وما يتعلق بشخصيته العلامة الكبير، والحافظ الناقد البصير، والمحقق المدقق الخطير، الذي لا يجارى ولا يمارى ولا يبارى في ميادين العلوم، ولا يفوته منها شارد ولا وارد في منطوقها والمفهوم، السيد الإمام الحجة/ محمد بن عبد العظيم بن الحسن بن الحسين الحوثي حفظه الله وأيده، فقد جمع وأوعى.

وإنما أردت في هذه السطور والصفحات، أن أجمع بعض البحوث التي كنت قد كتبتها حول الإمام زيد عليه السلام، وكانت متفرقة في الدفاتر، ومتشتتة بحسب موقعها في كثير من المصادر، وليسهل على الطالب والقارئ

الاستفادة، لأن الكثير يميل إلى المختصرات، ويترك البحث في المطولات، بسبب فتور الهمم، وتراخي العزائم، وضعف النشاط، في الجد والاجتهاد في طلب العلوم، والميل إلى ترك البحث والقرآءة بسبب الكسل والتواني.

فأحببنا أن نهديك – أخي القارئ الكريم- بعض المعلومات، وبدائع الفوائد، وأن نقرِّب إليك الأحداث، ونبعد عنك التعب والملل في البحث والإطلاع، راجين من المولى جل وعلا أن يجعلها في العمل المرفوع المتقبل عنده، وأن ينفع بها كما نفع بغيرها من وسائل العلوم والمعرفة.

ولما كان شهر محرم الحرام كثرت فيه الأحداث، وتتابعت آلامه ومصائبه على أهل البيت عليهم السلام، فلم يمر على أهل البيت عليهم السلام إلا مدة من الزمن لم ينسوا فيها حادثة كربلاء، ومصاب الحسين وأصحابه البررة الشهداء، حتى تجددت أحزانهم، وتتابعت زفراتهم، وتساقطت دموع عيونهم، على مصيبة عظمى وفاجعة كبرى، وقعت على حفيد الإمام الحسين، وهو الإمام الشهيد السعيد، إمام الجهاد والاجتهاد، الولي بن الولي زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وإليك أيها المطلع الكريم هذه الرسالة التي تنبئك عن بعض أنباء وأخبار الإمام زيد عليه السلام، على وجه الاختصار، وقد أسميتها (إعلام ذي الكياسة الولي ببعض أنباء صاحب الكناسة الإمام زيد بن علي).

فأقول وبالله التوفيق:

مولده ونشأته

الإمام زيد عليه السلام شخصية عظيمة من ألمع وأروع الشخصيات الإسلامية، التي عرفها التاريخ، كيف لا يكون كذلك وهو غصن شجرة أصلها النبي المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء والحسين سيد الشهداء وعلي زين العابدين والأتقياء.

فهو الإمام الأعظم، إمام الحاضر والباد، وفاتح أبواب الجهاد والاجتهاد، الغاضب لله في الأرض، ومقيم أحكام السنة والفرض، إمام الفرقة الزيدية الناجية، وقائد العصابة المرضية الهادية، المنزه عن كل شين، أبو الحسين، الولي بن الولي، الشهيد السعيد، زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمه: أم ولد اسمها جيدا اشتراها المختار الثقفي بثلاثين ألف درهم ثم أهداها إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين، فأنجبت له زيداً.

ولد عليه السلام: في المدينة المنورة سنة (٧٥)هـ، على الأصح، كما روى ذلك الإمام المرشد بالله في الأمالي الإثنينية، بسنده عن الحسين بن زيد بن علي عليهم السلام.

روى الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الاثنينية بسنده عن حسين بن عمر الجعفي، قال: حدثني أبي، قال: (كنت أديم الحج فأمر على علي بن الحسين لأقضي واجب حقه، ففي آخر حجتي غدا علينا

بوجهه، فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ليلتي هذه أخذ بيدي فأدخلني الجنة فزوجني حوراء، فواقعتها، فَعَلِقَتْ، فصاح بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا علي بن الحسين سم المولود منها زيداً))، فما قمنا حتى أرسل إليه المختار بأم زيد شراها بثلاثين ألفاً.

وروى أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين بسنده إلى زياد بن المنذر، قال: اشترى المختار بن أبي عبيدة الثقفي جارية بثلاثين ألفا، فقال لها: أدبري، فأدبرت، ثم قال لها: أقبلي، فأقبلت؛ ثم قال: ما أدري أحدا أحق بها من علي بن الحسين فبعث بها إليه، وهي أم زيد بن علي.

وكان والده علي بن الحسين إذا صلى الفجر لم يلتفت إلى أصحابه، ويسبح تسبيحاً مواضباً عليه، ويركع ركعات، ثم يلتفت إليهم، فيوم ولد زيد بن علي عليهما السلام، أتاه البشير عند طلوع الشمس، فانثنى إلى أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: (ما تقولون في هذا المولود، ما نسميه) فقال بعض: حسن، وقال بعض: حسين، وقال بعض: جعفر، قال: فقال علي بن الحسين عليهما السلام: (يا غلام عليَّ بالمصحف) ففتحه وقال: (بسم الله) ثم قام فصلى ركعتين، ثم أخذه ففتحه فخرج في أول سطر {**وَفَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيماً**}[النساء:٩٥]، فحمد الله وأثنى عليه، ووضع المصحف، وقام فرجع، ثم أخذه فوضعه في حجره، ثم فتحه، وقال: (بسم الله) فخرج في أول سطر {**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي**

سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ}[التوبة:١١١]، فضرب بيدٍ على يدٍ، وقال: (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون) وقطرت عيناه في المصحف، وقال (هو والله صاحب الكناسة) مرتين، ثم قال: (أما والله ما أجد من ولد الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، أعظم منه وسيلة، ولا أصحابه آثر عند الله من أصحابه).

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام، قال: (بُشِّر أبي عليه السلام بزيد بن علي حين ولد، فأخذ المصحف ففتحه ونظر فيه فإذا قد خرج في أول السطر: **{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ}**[التوبة:١١١]، فأطبقه ثم فتحه فخرج: **{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}**[آل عمران/١٦٩]، فأطبقه ثم فتحه فخرج: **{وَفَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيماً}**[النساء:٩٥]، ثم أطبقه، ثم قال: عزيت والله عن هذا المولود وإنه لمن الشهداء المرزوقين).

ونشأ في بيت زاك رفيع، إنه بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي والتنزيل، في هذا البيت الرفيع، الذي هو مدرسة تقوى وصلاح، نشاء الإمام زيد، ولكنه لم يفتح عينه إلا على نفوس قد أذابها الحزن، وأظناها الألم، ولا يسمع إلا البكاء والعويل، والنادبات من عماته، يندبن سيد الشهداء، ويعددن رزاياه، وما حل به من فادح الخطب، وفاجع الرزء، ويشاهد أباه،

وقد نخر الحزن قلبه، وهو يواصل أوقاته بالبكاء والحزن على أبيه، وقد أنهكت العبادة جسمه، وأنحلت بدنه.

فأما صفته الخَلْقية: فكان أبيض اللون، أعين، مقرون الحاجبين، تام الخلق، طويل القامة، كث اللحية، عريض الصدر، أقنى الأنف، أسود الرأس واللحية، إلا أنه خالطه الشيب في عارضيه، جميلاً وسيماً أديباً، يشبه بأمير المؤمنين علي في الفصاحة والبلاغة والبراعة والشجاعة.

وأما صفاته الخُلُقية: فكان صاحب العلم الغزير، والفضل الشهير، والعبادة الكثيرة صلاة وصوماً وذكراً، وكان كثير الخوف والخشية من الله حتى كان يغمى عليه، كثير البكاء حتى تختلط دموعه بدمه، والكرم الواسع، وغيرها من المحاسن والشمائل.

وكان يعرف في المدينة بـ(حليف القرآن)، كما روي عن أبي الجارود، قال: (قدمت المدينة فجعلت كلما سألت عن زيد بن علي قيل لي: ذاك حليف القرآن).

وقال الإمام زيد عليه السلام: (خلوت بالقرآن ثلاث عشر سنة أقرؤه وأتدبره، فما وجدت في طلب الرزق رخصة، وما وجدت ابتغوا من فضل الله إلا العبادة والفقه).

وكان نور التقوى يبدو في وجهه وعلى لسانه وفي أفعاله.

قال حصيب الوابشي: كنت إذا رأيت زيدا، رأيت أسارير النور في وجهه.

وقال محمد بن الفرات: رأيت زيد بن علي وقد أثر السجود بجبهته أثراً خفيفاً.

قال الشيخ العالم، ولي آل محمد، أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر البغدادي المعروف بالبقال في كتابه طبقات الشيعة: كان زيد بن علي رضي الله عنه شامةَ أهل زمانه، وجوهرة أوانه، وإمام أهل بيت النبوة في وقته عليهم السلام يعرف في وقته بحليف القرآن، له في الزهد والكرم ومحاسن الأخلاق ما ليس لغيره من أهل زمانه، فتح الله عليه بالعلم.

وكان في العبادة كآبائه فقد حكى ولده الإمام يحيى بن زيد عن عبادته فقال: (كان يصلي الفريضة، ثم يصلي ما شاء الله، ثم يقوم على قدميه يدعو الله إلى الفجر، يتضرع إليه، ويبكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر قام وصلى الفريضة، ثم جلس للتعقيب إلى أن يتعالى النهار، ثم يقوم في حاجته ساعة، فإذا كان قرب الزوال قعد في مصلاه، وسبح الله ومجده إلى وقت الصلاة، وقام فصلى الأولى، وجلس هنيهة وصلى العصر، وقعد في تعقيبه ساعة ثم سجد سجدة، فإذا غابت الشمس صلى المغرب والعتمة، وكان يصوم في السنة ثلاثة أشهر، وفي الشهر ثلاثة أيام) .

وكان يبكي من خشية الله حتى تختلط دموعه بدمه طول ليله .

وقال عاصم بن عبيد الله العمري حاكياً عن عبادة زيد وخشوعه وخوفه من الله: لقد رأيته وهو غلام حدث، وإنه ليسمع الشيء من ذكر الله، فيغشى عليه حتى يقول القائل: ما هو بعائد إلى الدنيا.

وقال: رأيته بالمدينة وهو شاب، يذكر الله عنده فيغشى عليه حتى يقول القائل: ما يرجع إلى الدنيا.

وقد روي أن زيد بن علي عليهما السلام قرأ **{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}** حتى بلغ **{كَلا سَوفَ تَعْلَمُونَ}**، فبكى بكاء شديداً، حتى ظننت أنه سيموت.

قال عبد الله بن الحسن عليهما السلام: (كان زيد بن علي عليهما السلام إذا قرأ آية الخوف، ماد والله كما تميد الشجرة من الريح في اليوم العاصف) .

وكان كثير الملازمة لكتاب الله، حتى عرف بحليف القرآن، قال عليه السلام: (خلوت بكتاب الله عز وجل، أقرأه وأتدبره ثلاث عشرة سنة).

وروي أنه عليه السلام كان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

وكان عليه السلام يحيي الليل كله، وروي أنه لم ينم الليل عشرين سنة.

وكان كثير البكاء من خشية الله، حتى كان دمعه يبل لحيته، وكان دمعه . كما قيل . يشبه الدم، فقيل له في ذلك، فقال: (لم لا أبكي فوالله لو قد أعطاني الله الأمان من الحساب والعقاب لحق لي أن أبكي إن كنتم تعلمون يا ذوي الألباب).

الإمام زيد في الأخبار النبوية والعلوية

وردت في الإمام عليه السلام أخبار كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تدل على فضله، وتبشر به، وتبين عظيم منزلته عند الله وارتفاع شأنه، وهي من أعلام النبوة، والأخبار الدالة على المعجزات التي تشهد بصحة نبوته صلى الله عليه وآله وسلم، وقد حصل له وعليه كما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم، وتلك الأخبار صحيحة، ودلالاتها صريحة، رواتها الثقات، ومدونوها الأئمة والعلماء الأثبات، ولا يقدح في تصحيحها تضعيف الخصوم، إذ تضعيفهم تصحيح وتقوية، وجرحهم تعديل وتوثيق، وهي أخبار كثيرة، وأسانيدها معروفة شهيرة، وسنذكر بعضاً من تلك الأخبار، بعون الملك الجبار مع الاختصار بحذف الأسانيد طلباً للتخفيف:

فمن ذلك: ما رواه ابن عساكر، بسنده عن حذيفة بن اليمان، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظر يوماً إلى زيد بن حارثة وبكى وقال: ((**المظلوم من أهل بيتي، سمي هذا، والمقتول في الله، والمصلوب من أمتي، سمي هذا، وأشار إلى زيد بن حارثة**))، ثم قال: ((**ادن مني يا زيد زادك الله حباً عندي، فإنك سمي الحبيب من ولدي زيد**)).

وعن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: ((**خير الأولين والآخرين المقتول في الله، المصلوب في أمتي**

المظلوم من أهل بيتي، سمي هذا)) ثم ضم زيد بن حارثة إليه، ثم قال: **((يا زيد لقد زادك اسمك عندي حبا أنت سمي الحبيب من أهل بيتي))**.

ومن ذلك: ما رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين قال: ومما روى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: أخبرني أبي، قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **((أنه سيخرج مني رجل يقال له زيد، فينتهب ملك السلطان، فيقتل، ثم يصعد بروحه إلى السماء الدنيا، فيقول له النبيون: جزى الله نبيك عنا أفضل الجزاء، كما شهد لنا بالبلاغ، وأقول أنا: أقررت عيني يا بني وأديت عني، ثم يذهب بروحه من سماء إلى سماء حتى ينتهى به إلى الله عزوجل، ويجيء أصحابه يوم القيامة يتخللون أعناق الناس، بأيديهم أمثال الطوامير، فيقال: هؤلاء خلف الخلف، ودعاة الخلق إلى رب العالمين))**.

ومن ذلك: ما رواه الإمام المرشد بالله بسنده عن ابن عباس، قال: مرّ على عليه السلام في الكناسة فبكى وبكينا، قلت ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: حدثني حبيبي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم **((أن رجلاً يصلب هاهنا من ولدي لا ترى الجنة عين رأت عورته))**.

ومن ذلك: ما رواه المرشد بالله أيضاً بسنده عن أنس، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم **((يقتل من ولدي رجل يدعى زيداً بموضع يعرف بالكناسة يدعو إلى الحق يتبعه عليه كل مؤمن))**.

ومن ذلك: ما رواه الإمام المرشد بالله عليه السلام أيضاً في الأمالي

الإثنينية بسنده عن حبة العرني، قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام أنا والأصبغ بن نباتة في الكناسة في موضع الجزازين والمسجد والخياطين وهو يومئذ صحراء، فما زال يلتفت إلى ذلك الموضع ويبكي بكاء شديداً، ويقول: (بأبي بأبي، فقال له الأصبغ: يا أمير المؤمنين لقد بكيت والتفت، حتى بكت قلوبنا وأعيننا، والتفتُ فلم أر أحداً؟

قال: (**حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه يولد لي مولود ما ولد أبواه بعد يلقى الله غضباناً وراضياً له، على الحق حقاً حقاً، على دين جبريل وميكائيل ومحمد عليهم السلام، وأنه يُمثَلُ به في هذا الموضع مثالاً ما مُثِلَ بأحد قبله ولا يمثل بأحد بعده – صلوات الله على روحه وعلى الأرواح التي تتوفى معه –**).

ومن ذلك: ما رواه الإمام المرشد بالله عليه السلام بسنده عن ابن عباس، قال: بينا علي عليه السلام بين أصحابه، إذ بكى بكاء شديداً حتى لبقت لحيته، فقال له الحسين عليه السلام: يا أبه؛ مالك تبكي؟ قال: (يا بني لأمور خفيت عنك أنبأني بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) قال: وما أنبأك به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: (يا بني لولا أنك سألتني ما أخبرتك لئلا تحزن ويطول همك، أنبأني رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ... فذكر حديثاً طويلاً قال فيه: ((**يا علي كيف أنت إذا وليها الأحول الذميم، الكافر اللئيم، فيخرج عليه خير أهل الأرض من طولها والعرض**)). قلت: يا رسول الله: من هو؟ قال: ((**يا علي؛ رجل أيده الله بالإيمان، وألبسه قميص البر**

والإحسان، فيخرج في عصابة يدعون إلى الرحمن، أعوانه خير أعوان، فيقتله الأحول ذو الشنآن، ثم يصلبه على جذع رمان، ثم يحرقه بالنيران، ثم يضربه بالعسبان، حتى يكون رماداً كرماد النيران، ثم يصير إلى الله عز وجل روحه وأرواح شيعته إلى الجنان)).

ومن ذلك: ما رواه الإمام المرشد بالله أيضاً بسنده عن الحسن بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، قال: قال علي عليه السلام: لما أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتل الحسين وصلب ابنه زيد، قلت: يا رسول الله، ترضى أن يقتل ولدك؟

فقال: ((**يا علي أرضى عن الله فيّ وفي ولدي، إن لي دعوتان، أما أحدهما فاليوم، وأما الثانية فإذا عرضوا علي أعمالهم؛ ثم رفع يديه إلى السماء ثم قال: يا علي أمن على دعائي: اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، وسلط بعضهم على بعض، وامنعهم الشرب من حوضي ومرافقتي**))، ثم قال: ((**يا علي أتاني جبريل عليه السلام وأنا أدعو وأنت تؤمن على دعائي، فقال: قد أجيبت دعوتكما**)).

ومن ذلك: ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه الباقر، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للحسين ((**يخرج من صلبك رجل يقال له زيد، يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس، غراً محجلين يدخلون الجنة بغير حساب**)).

الآثار الواردة فيه عن جده علي عليه السلام

وورد فيه آثار علوية مروية عن أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليهم السلام مما علمه إياها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وائتمنه عليها، وأسرها إليه؛ من الأمور الغيبية، والأسرار الإلهية، لكونه باب مدينة العلم ـ صلوات الله عليه ـ، وسنذكر شطراً منها يدل على ما سواه:

منها: ما رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الإثنينية بسنده، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي عليهم السلام، قال: يخرج مني بظهر الكوفة رجل يقال له: زيد في أبّهه سلطان والأبهه الملك لم يسبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون إلاّ من عمل بمثل عمله، يخرج يوم القيامة هو وأصحابه معهم الطوامير ثم يتخطون أعناق الخلائق، قال: فتلقاهم الملائكة فيقولون هؤلاء خلف الخلف ودعاة الحق ويستقبلهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم فيقول: قد عملتم بما أمرتم ادخلوا الجنة بغير حساب.

ومنها: ما رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الإثنينية، والإمام أبو طالب في الأمالي عن أبي عمرو زادان، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: الشهيد من ذريتي، القائم بالحق من ولدي، المصلوب بكناسة كوفان، إمام المجاهدين، وقائد الغرّ المحجلين، يأتي يوم القيامة هو وأصحابه يتلقاهم الملائكة المقربون ينادونهم **{ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنت تحزنون}**.

ومنها: ما رواه السيد الإمام أبو العباس الحسني في المصابيح، بسنده عن

جعفر بن محمد، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليهم السلام أنه قال: خطب أمير المؤمنين على منبر الكوفة، فذكر أشياء وفتناً، حتى قال: (**ثم يملك هشام تسع عشرة سنة، وتواريه أرض رصافة، رصفت عليه النار، مالي ولهشام جبار عنيد، قاتل ولدي الطيب المطيب، لا تأخذه رأفة ولا رحمة، يصلب ولدي بكناسة الكوفة، زيد في الذروة الكبرى من الدرجات العلى، فإن يقتل زيد، فعلى سنة أبيه، ثم الوليد فرعون خبيث، شقي غير سعيد، يالله من مخلوع قتيل، فاسقها وليد، وكافرها يزيد، وطاغوتها أزيرق، ومتقدمها ابن آكلة الأكباد، ذره يأكل ويتمتع ويلهه الأمل، فسوف يعلم غداً من الكذاب الأشر**).

فهذه الأخبار والآثار تدل على أن الإمام زيد عليه السلام يحتل مكانة عظيمة عند الله ورسوله، فصلوات الله عليه وعلى آبائه، وحشرنا في زمرته.

مكانة الإمام زيد عند أهل البيت وعند علماء الأمة

اشتهر الإمام زيد عليه السلام بالعلم والعبادة، والعفة والزهادة، ولازم القرآن واختلى به ثلاث عشرة سنة حتى عرف واشتهر بخليف القرآن، وفاق أقرانه وأهل زمانه في جميع الصفات والخصال علماً وعملاً واجتهاداً وشجاعة وفصاحة وبلاغة وبياناً، وصرامة في قول الحق، حتى حظي بمكانة سامية، في أوساط علماء الإسلام، وبالخصوص بين أهل البيت عليهم السلام، فقد أجمع عليه الموالف والمخالف من جميع الفرق والطوائف، وقد أثنى عليه العلماء من أهل البيت خاصة، وغيرهم من علماء الأمة، فهم مجمعون على فضله وعلمه وعبادته وورعه وتقدمه في جميع صفاته، وسنذكر بعضاً من ذلك:

أما مكانته عند أهل البيت عليهم السلام، فهم ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: الذين عاصروه وكانوا في أيامه سواء قبل خروجه أو بعده، فقد كان له عندهم مكانة خاصة، ولهم فيه أقوال جمة، تدل على تفضيلهم له واعترافهم بأحقيته، فمنهم

١-والده الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهم السلام.

فقد تقدم أنه لما أتاه البشير بولادة زيد، استفتح ثلاثاً، في كل مرة تظهر آية من آيات الجهاد والاستشهاد، فدمعت عيناه، وقال: عزيت في هذا المولود، هو زيد المصلوب بالكناسة.

وروى أبو الفرج الأصفهاني في المقاتل، بسنده المتصل عن خالد مولى آل الزبير، قال: (كنا عند علي بن الحسين فدعا ابناً له يقال له زيد، فكبا لوجهه، وجعل يمسح الدم عن وجهه، ويقول: أعيذك بالله أن تكون زيداً المصلوب بالكناسة، من نظر إلى عورته متعمداً أصلى الله وجهه النار).

٢. محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية، المتوفى سنة (٨١)هـ

عن عبد الله بن محمد، قال: (مر زيد بن علي بن الحسين على محمد بن الحنفية فرق له وأجلسه، وقال: أعيذك بالله يا ابن أخي أن تكون زيداً المصلوب بالعراق، ولا ينظر أحد إلى عورته ولا ينظره إلا كان في أسفل درك من جهنم).

وروى الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام في كتاب معرفة الله، عن محمد بن الحنفية أنه قال: سيصلب منا رجل يقال له زيد بن علي في هذا الموضع -يعني موضعاً بالكوفة يقال له الكناس، لم يسبقه الأولون ولا الآخرون فضلاً.

٣. أخوه أبو جعفر محمد بن علي الباقر، المتوفى سنة (١١٨هـ) في الأصح

وقال أخوه الباقر محمد بن علي: (إن أخي زيد بن علي خارج ومقتول، وهو على الحق، فالويل لمن خذله، والويل لمن حاربه، والويل لمن يقتله).

وقال فيه أيضاً: (هذا والله سيد بني هاشم، إن دعاكم فأجيبوه، وإن استنصركم فانصروه).

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: قال أبو جعفر – أي محمد بن علي الباقر–: (لا والله الذي لا إله إلا هو ما خرج فينا أهل البيت ناشٍ أشبه بعلي بن أبي طالب منه – يعني من زيد بن علي –).

وعن يزيد الأسدي، قال: قال لي محمد بن علي: يا يزيد تريد أن أريك من آتاه العلم والحكم؟ قلت: نعم جعلت فداك.

قال: فقال لي: نعم، هو هذا زيد بن علي).

وروى الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام، قال: وفيه عن محمد بن علي بن الحسين باقر العلم أن قوماً وفدوا إليه فقالوا: يا ابن رسول الله إن أخاك زيداً فينا وهو يسألنا البيعة فنبايعه؟ فقال لهم محمد: بايعوه، فإنه اليوم أفضلنا).

وعنه أيضاً أنه اجتمع زيد ومحمد في مجلس، فتحدثوا، ثم قام زيد فمضى، فأتبعه محمد بصره، ثم قال: لقد أنجبت أمك يا زيد).

وعن أبي الجارود بن المنذر، قال: كنت جالساً عند أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام إذ أقبل أخوه زيد بن علي عليهما السلام فلما نظر إليه جعفر وهو مقبل، قال: (هذا سيد أهل بيته، والطالب أوتارهم، لقد أنجبت أم ولدتك يا زيد).

وعن جعفر بن محمد، قال: سمعت أبي محمد بن علي يقول لأخيه زيد بن علي عليهم السلام: (إن الله جعل حياتك حياة السعداء، وجعل وفاتك وفاة الشهداء).

وقال فيه أيضاً: والله لقد أوتي أخي زيد علماً لدُنِّيّاً فاسألوه فإنه يعلم ما لا نعلم.

وعن أبي هاشم الرماني قال: طلب زيد بن علي من أخيه عليه السلام كتابا فأغفل عن ذلك أبو جعفر عليه السلام ، ثم ذكره فأخرج إليه الكتاب، فقال له زيد بن علي عليهما السلام: لقد وجدت ما أردته منه في القرآن.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: فأسألك؟ فقال له زيد عليه السلام: نعم سلني عما أحببت.

قال أبو هاشم: ففتح أبو جعفر الكتاب وجعل يسأله، ويجيبه زيد بجواب علي عليه السلام كما في الكتاب، فقال له أبو جعفر عليه السلام: بأبي أنت وأمي يا أخي، أنت والله نسيج وحدك، بركة الله على أم ولدتك، لقد أنجبت حين أتت بك شبيه آبائك عليهم السلام جميعاً).

٤- الحسين ذو الدمعة بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، المتوفى سنة (١٥٧هـ).

عن صالح بن أبي الأسود، عن الحسين بن علي بن الحسين عليهم السلام، قال: كان أخي زيد بن علي عليه السلام يعظم ما يأتيه أهل

الجور، وما يكون من أعمالهم فيقول: والله ما يدعني كتاب ربي أن أكف يدي، والله ما يرضى الله من العارفين به أن يكفوا أيديهم وألسنتهم عن المفسدين في أرضه، فلما نزل بين ظهرانيكم يا أهل الكوفة فبذلتم له النصرة، وأعطيتموه الطاعة وعاديتموه على ذلك، قام داعياً إلى الله، وإلى كتابه، وجهاد في سبيله، وبذل المجهود من نفسه، فمن وفى له ونصره كان ناصراً لله، ومن نصر الله في الدنيا نصره الله في الآخرة، وأحلف بالله إن الخاذل لزيد بن علي كمن خذل الحسين بن علي، وأحلف بالله لقد مضى زيد شهيداً، ومضى والله أصحابه شهداء).

وعن لوط بن إسحاق النوفلي، قال: حدثني الحسين بن علي بن الحسين عليهم السلام قال: سمعت أخي زيد بن علي عليهما السلام يقول: (من دعي إلى الحق وأجاب إلى ذلك الذي دعا إلى الحق فقد نصر الله ونصر رسوله ونصر الذي دعاه إلى الحق، ونصر الحق، وكفى بها شهادة للداعي والمجيب).

قال الحسين بن علي بن الحسين: (وكان أخي زيد بن علي عليه السلام قائلاً بالحق، داعياً إلى الحق ناصراً، جاهد والله أعداء الله وأعداء رسوله، واستشهد على ذلك).

٥. جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين السبط بن علي أمير المؤمنين عليهم السلام المتوفى سنة (١٤٨هـ).

روى الإمام الهادي عليه السلام في كتاب معرفة الله عز وجل، قال:

(وعنه -أي عن جعفر الصادق- لما جاءه خبر قتل عمه زيد وأصحابه، قال: ذهب والله زيد بن علي كما ذهب علي بن أبي طالب والحسن والحسين وأصحابهم شهيداً إلى الجنة، التابع لهم مؤمن، والشاك فيهم والراد عليهم كافر).

وروى محمد بن سالم، قال: قال لي جعفر بن محمد: (يا محمد هل شهدت عمي زيداً؟ قلت: نعم.

قال: فهل رأيت فينا مثله؟ قلت: لا.

قال: ولا أظنك والله ترى فينا مثله إلى أن تقوم الساعة، كان والله سيدنا، ما ترك فينا لدين ولا دنيا مثله).

وعن جعفر الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن في السماء لحرساً وهم الملائكة، وفي الأرض حرساً وهم شيعتك يا علي، لن يبدلوا ولن يغيروا))، فقال جعفر عليه السلام: (ما أعلمه في شيعتنا إلا في أصحاب عمي زيد، مضى من مضى منهم على منهاجه، وبقي من بقي منهم ينتظر فرجنا أهل البيت).

وقيل لجعفر الصادق عليه السلام : إن الرافضة يبرؤون من عمك زيد.

فقال: (برئ الله ممن برئ من عمي، كان والله أقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله، وأوصلنا للرحم، والله ما ترك فينا للدنيا ولا للآخرة مثله).

وعن أبي مخنف، قال: (قيل لجعفر بن محمد ما الذي تقول في زيد

بن علي وخروجه على هشام؛ فقال جعفر عليه السلام: قام زيد بن علي مقام صاحب الطف – يعني الحسين بن علي عليهما السلام–).

وعن جعفر الصادق أنه قال: (الشاك في فضل عمي زيد منافق، قام والله زيد بن علي داعيا إلى الله عز وجل، وأمر بالعدل في عباد الله، وجاهد أهل الكفر، فمضى والله هو ومن معه شهداء).

٦. عبد الله الكامل بن الحسن الرضا بن الحسن السبط بن علي أمير المؤمنين بن أبي طالب عليهم السلام، المتوفى سنة (١٤٥هـ).

قال عبد الله بن الحسن عليه السلام: (كان زيد بن علي عليهما السلام إذا قرأ آية الخوف ماد والله كما تميد الشجرة من الريح في اليوم العاصف، ولم أر فينا ولا في غيرنا مثله).

وعن عبد الله بن الحسن عليه السلام أنه قال: (العلم بيننا وبين الناس علي بن أبي طالب، والعلامة بيننا وبين الشيعة زيد بن علي عليهما السلام، فمن تبعه فهو شيعي، ومن لم يتبعه فليس بشيعي).

وقال: (علامة ما بيننا وبين الناس علي بن أبي طالب عليه السلام، وعلامة ما بيننا وبين شيعتنا زيد بن علي عليه السلام، من تولى زيداً على صفته توليناه؛ ومن برئ من زيد على صفته برئنا منه؛ إن زيداً كان صحيحاً).

وعن سعيد بن خثيم، عن القاسم بن حبيب، قال: كنت جالساً عند عبد الله بن الحسن بن الحسن فقال: (اللهم إني أشهدك وحملة عرشك وملائكتك

ومن حضرني من خلقك أني أتولى زيد بن علي، وأبرأ إليك ممن برئ منه ومن أصحابه، مضى والله زيد ما خلف فينا لدين ودنيا مثله، أضحى زيد بالعراق فأوضح للناس الطريق، والله إن أوثق خصال زيد أن يثيبه الله الجنان لما أوضح للناس من كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال عبد الله بن الحسن الكامل للحسين بن زيد بن علي: (والله لقد توالى لك آباءٌ ما رأيت فينا ولا في غيرنا مثلهم، إن أدنى آبائك الذي لم يكن فينا مثله أبوك زيد بن علي، لا والله ما كان فينا مثله).

٧. علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

روى الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي بسنده عن علي بن عثمان، قال: (سألت علي بن عبيد الله بن الحسين، قلت: جعلت لك الفداء، كان جعفر إماماً؟ قال: نعم في الحلال الحرام، قلت: فكان زيد إماماً؟ قال: إي والله إمامنا وإمام جعفر).

٨. موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر (ع) المتوفى سنة (١٨٣هـ).

عن أحمد بن عبد الله الهروي، قال: (سمعت موسى بن جعفر يقول: إن قوماً يزعمون أنهم لنا أولياء ومن عدونا أبرياء، يبرؤون من عمنا وسيدنا زيد بن علي عليه السلام برئ الله منهم).

وعن الإمام القاسم بن إبراهيم، قال: حدثني عبد الله بن موسى، عن أبيه، قال: (كان زيد بن علي عليه السلام خير ولد فاطمة صلوات الله عليها).

٩. الإمام المهدي لدين الله محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، المتوفى سنة (١٤٥هـ).

قال الإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية عليه السلام: أما والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين، وأقام عمود الدين إذ اعوج، ولن نقتبس إلا من نوره، وزيد إمام الأئمة، وأول من دعا إلى الله بعد الحسين بن علي عليهما السلام).

وروى الإمام المرشد بالله عليه السلام بسنده عن أبان بن تغلب، عن محمد بن عبد الله بن الحسن عليهم السلام قال: (أراد الله تعالى إكرام قوم بكرامته وأحب أن يستنقذهم، فساق إليهم زيد بن علي عليه السلام حتى نزل بين أظهرهم فدعاهم إلى الحق، ووصفه لهم خلافاً لما كانوا عليه، فقالوا: إن أباك كان إماماً وأخاك، ليزيلوه عن دينه ويختلوه عنه، فقال: فَجَرْتُ إذاً وعققتُ والدي، وظلمت أخي وافتريت عليهما، أنا أعلم بوالدي وأخي منكم، وإن هذه للفرية على الله وعلينا، ولو غير زيد تكلم بهذا لقالوا: ظنين متهم، جاهل لا يعلم، والحمد لله الذي جعل على هذا أمر أولنا وآخرنا لم نقر لهم بفرية، ولم نلبهم عليها، فمن كان أفضل من زيد بن علي وأصدق وأعلم بأبيه وأخيه منه، ولا أرضى في المسلمين).

١٠- الإمام الحسين بن علي الفخي عليه السلام، المستشهد سنة (١٦٩)هـ

وقال الإمام الشهيد الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، الشهير بالفخي: (من قام منا أهل البيت داعياً إلى الله عز وجل وإلى كتابه وإلى جهاد أئمة الجور، فهو من حسنات زيد بن علي، فتح والله لنا زيد بن علي باب الجنة، وقال: ادخلوها بسلامٍ آمنين).

١١- عبد الله بن محمد بن الحنفية، المتوفى سنة (٩٩هـ).

عن عمر بن سليمان، عن عبد الله بن محمد بن الحنفية، قال: (لو نزل عيسى بن مريم لأخبركم أن زيد بن علي خير من وطئ على عفر التراب، ولقد علم زيد بن علي القرآن من حيث لم يعلمه أبو جعفر. قال: قلت وكيف ذاك؟ قال: لأن أبا جعفر أخذه من أفواه الرجال، وإن زيد بن علي أعطي فهمه).

وعن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب أنه قال ذات يوم لجلسائه: (والله لقد علمتُ أهل بيتي وولد أبي، فما علمت أفضل من زيد بن علي، ولقد استوسقت له الفضائل، واجتمع له الخير، وكمل فيه الحق، فما يساميه أحد إلا والحق ينكسه ويزهقه).

١٢- عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

وعن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي قال: حدثني أبي، عن عمه

عمر بن علي، قال: (كان زيد بن علي لا يخاف أحداً في الله، ولا تأخذه في الله لومة لائم).

١٣- الإمام إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام المتوفى سنة (١٤٥هـ).

وعن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، قال: (لو نزلت راية من السماء لم تنصب إلا في الزيدية).

١٤- عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

وعن عبيد الله بن محمد بن عمر، قال: (إن زيد بن علي قرأ ألهاكم التكاثر حتى بلغ: {كلا سوف تعلمون}، فبكى بكاء شديداً حتى ظننت أنه سيموت).

فهذه بعض أقوال أهل البيت عليهم السلام الذين رأوا الإمام زيداً عليه السلام أو أخذوا عنه، وثمة أقوال غير ما ذكرنا.

وأما القسم الثاني: وهم من أتى بعده عليه السلام من أئمة أهل البيت المتأخرين فكلامهم كثير، وأقوالهم لا يسع حصرها واستقصاؤها، فيكفي في تفضيلهم له، إجماعُهم كافة على إمامته، ونسبة أنفسهم إليه في التسمية.

فهم مجمعون على القول بإمامته عليه السلام وتفضيله، ويفتخرون بالانتماء إليه، وبأنه فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، كالإمام القاسم بن

إبراهيم، والإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، والإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة وغيرهم من الأئمة عليهم السلام.

وأما مكانته عند علماء الأمة وأقوالهم فيه:

فالإمام زيد عليه السلام فاق علماء عصره، وأبناء دهره، وأربى على أقرانه، وعلماء زمانه، وزاد على أهل أوانه، فسلموا له القياد، وأثنوا عليه، واعترفوا بسبقه وبهرهم علمه، وبان لهم فضله، وسعة فقهه، وبلاغة قوله، وفصاحة منطقه، وحلاوة كلامه، فعلماء عصره الذين أثنوا عليه وامتدحوه كثيرون، نذكر بعضاً منهم يدل على ما سواه:

قال عمر بن عبد الله بن علي الكوفي، أبو إسحاق السبيعي، المتوفى سنة (١٢٧)هـ: رأيت زيد بن علي فلم أرَ في أهله مثله، ولا أعلم منه ولا أفضل، وكان أفصحهم لساناً، وأكثرهم زهداً وبياناً.

وقال عامر بن شراحيل الشعبي المتوفى سنة (١٠٧)هـ: والله ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي، ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد.

وقال أبو حنيفة النعمان بن ثابت، المتوفى سنة (١٥٠)هـ: شاهدت زيد بن علي، كما شاهدت أهله، فما رأيت في زمانه أفقه منه، ولا أعلم ولا أسرع جواباً، ولا أبين قولا، لقد كان منقطع القرين.

وقال سفيان بن سعيد الثوري، المتوفى سنة (١٦١)هـ: قام زيد مقام الحسين بن علي، وكان أعلم خلق الله بكتاب الله، ما ولدت النساء مثله أبداً.

وكان سفيان الثوري إذا ذكر زد بن علي عليه السلام يقول: بذل مهجته لربه، وقام بالحق لخالقه، ولحق بالشهداء المرزوقين من آبائه.

وقال سليمان بن مهران الأعمش، المتوفى سنة (١٤٧)هـ:

ما كان في أهل زيد بن علي مثل زيد، ولا رأيت فيهم أفضل منه، ولا أفصح ولا أعلم ولا أشجع، ولو وفى له من تابعه لأقام بهم على المنهج الواضح.

وقال عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، المتوفى في أيام السفاح: لأبي داوود الطهوي: لقد أصيب عندكم رجل ما كان في زمانه مثله، ولا أراه يكون بعده مثله.

فقال له أبو داوود: فإنك لتقول ذلك؟

قال: نعم، وأنا أكبر منه مولداً قد أتى علي سبعون سنة، لقد رأيته وهو غلام حدث السن وإنه ليسمع الشيء من ذكر الله عز وجل فيغشى عليه حتى يقول القائل: ما هو بعائد إلى الدنيا).

وقال عمر بن عبد العزيز، الخليفة العادل الأموي، المتوفى سنة (١٠١هـ): إن زيداً لمن الفاضلين في قيله ودينه، وكان عمر يلطف بزيد بن علي ويكاتبه.

وقال خالد بن صفوان بن الأهثم المنقري، المتوفى سنة (١٣٣هـ): ما رأيت في الدنيا رجلاً قرشياً ولا عربياً يزيد في العقل والحجج على زيد بن علي عليهما السلام.

وقال أيضاً: (انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة من بني هاشم إلى زيد بن علي، لقد شهدته عند هشام بن عبد الملك وهو يخاطبه وقد تضايق به مجلسه).

وقال أبو غسان الأزدي مالك بن إسماعيل الكوفي، المتوفى سنة (٢١٩هـ): قدم علينا زيد بن علي عليه السلام إلى الشام أيام هشام بن عبد الملك فما رأيت رجلاً كان أعلم بكتاب الله منه.

وقال أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي، المتوفى في حدود سنة (١٤٥هـ) إلى (١٥٠هـ): ما رأيت هاشمياً قط مثل زيد بن علي عليهما السلام ولا أفصح ولا أزهد ولا أعلم ولا أورع ولا أبلغ في قول ولا أعرف باختلاف الناس، ولا أشد حالاً، ولا أقوم بحجة، فلذلك اخترت صحبته على جميع الناس).

فهذه بعض شهادة العلماء المشهورين من علماء الأمة وأقوالهم في الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وكذلك غيرهم كثير، وهذه الأقوال تدل على ما سواها، فالإمام زيد محل اتفاق بين علماء المسلمين جميعاً، حتى أصبحت كل فرقة وطائفة تفتخر به وتضيفه إليها، وتصنفه في رجالها، ولكنه عليه السلام سلك طريقاً، ورسم نهجاً عبر عنه بلسانه وقلمه، وضمنه رسائله وكتبه، وأبانه بخروجه وجهاده، فليس يحتاج إلى أحد أن يعبر عنه فكتبه ورسائله ناطقة، جعلنا الله ممن انضوى تحت لوائه.

أسباب خروج الإمام زيد عليه السلام

وقبل الدخول في الموضوع نشير إلى أن الأمة الإسلامية عاشت أكثر من نصف قرن بعد خروج الإمام الحسين بن علي عليه السلام إلى خروج حفيده الإمام زيد بن علي بن الحسين من عام (٦١هـ) إلى عام (١٢٢هـ).

وكانت هذه الفترة فترة ظلم وظلام واستبداد كامل وشامل، فقد عاشت الأمة طوال هذه الفترة تحت ظل الحكم الأموي الغاشم، الذي عاث فيه بنو أمية وأشياعهم في الأرض فساداً، وحققوا بعض أهدافهم ضد الإسلام وأهله، فقد ادعى الأمويون ما ليس لهم، وما ليسوا له بأهل، وأعانهم على ذلك علماء السوء، بل ابتزوا وأخذوا وسيطروا على ما هنالك.

فالإمام زيد عليه السلام ولد في هذه الفترة ونشأ فيها، فهو يرى ويؤلمه ما يعانيه أهله وأسرته عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته من قبل بني أمية وأشياعهم من العداوة المفضية إلى المحاربة بشتى الوسائل من التعذيب والتنكيل، والأسر والتقتيل، وأدناها السب والأذية، حتى لو أفضى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو علي عليه السلام أو فاطمة أو أبنائهم.

ويرى ما يعانونه أيضاً هم وشيعتهم من التخفي والإنكتام في النفس والعقيدة، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى يرى ويشاهد ويعاين ما تعانيه الأحكام الإسلامية من

التلاعب وعدم التطبيق فهو يرى تعطيل الحدود، وتبديل الشرائع، وإماتة السنن، وإحياء البدع، وإهمال الفرائض، وتضييع الحقوق، وارتكاب المحرمات والفجور، وظهور المعاصي والفسوق، وبنو أمية متربعون على كرسي الحكم، منهمكون في المعاصي، من شرب الخمور، وارتكاب الفجور، وتضييع مال الله، وظلم عباد الله، كالبهيمة همها أكلها وشربها وشهوتها، ولا تدري ما يراد بها، بل هم أضل سبيلاً.

والأمة تعيش في هذه الفوضى العارمة لا تستطيع إنكاراً ولا تغييراً، وأهل البيت عليهم السلام لا يحركون ساكناً - ليس لمكان الجبن والإقرار على ظلم الأمة-؛ بل لعدم وجود الناصر، وغلبة أهل الباطل.

الإمام زيد عليه السلام كان يسعى في إصلاح الأمة بالقول والعمل، ولكنه يرى أن ذلك لا يحقق هدف الإصلاح والتغيير للمنكر مع استفحاله وانتشاره إلا بقيام ثورة ضد الظلم وأهله، تعيد روح الإسلام والإيمان والجهاد في قلوب المستضعفين.

الإمام زيد عليه السلام كان يحرص كل الحرص على صلاح أمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ويسعى جاهداً إلى ذلك، بل ويكاد يموت أسفاً وحسرة على الواقع المرير الذي تعيشه، فقد جسد حرصه وإخلاصه على جمع كلمة المسلمين، والإصلاح فيما بينهم، ورفع الظلم عنهم، في قوله المشهور عنه (والله لوددت أن يدي ملصقة بالثريا، فأقع إلى الأرض أو حيث أقع، فاتقطع قطعة قطعة، وأن الله يصلح بي أمة محمد صلى

الله عليه وآله وسلم)، فهو يرى باطلاً يُحيي، وصادقاً يكذب، وأثرة بغير تقى، ورأى جوراً شاملاً، واستبداداً عاماً في أمور المسلمين.

فإن في بعض رسائل دعوته إلى الناس التي تبين أسباب خروجه: وقد عرفتم حالكم الذي أنتم عليه من الفتنة في دينكم، والبلاء في معايشكم، من سفك الدماء، والاستئثار عليكم بفيئكم، فهذا ما أنتم عليه اليوم مقيمون، وبه آخذون، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيئه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والدفع عن المستضعفين، ومجاهدة الظالمين الذين ابتزوا أهل بيت نبي رب العالمين، فبادروا إلى عبادة الله، واحذروا أن يحل بكم عذاب الله وبأسه، وما حل على من كان قبلكم من أهل معصيته، والتولي عن أمره، وراجعوا الحق واحموا أهله، وكونوا لهم أعواناً إليه لتكونوا من المفلحين.

ومن كلام له في رسالة أخرى قال فيها: ألستم تعلمون أنَّا أهل بيت نبيكم، المظلومون المقهورون من ولايتهم؟ فلا سهم وُفِّينا، ولا ميراث أعطينا، ما زال قائلنا يقهر – يعني يكذب–، ويولد مولودنا في الخوف، وينشأ ناشئنا بالقهر، ويموت ميتنا بالذل.

ويحكم إن الله قد فرض عليكم جهاد أهل البغي والعدوان، وفرض نصرة أوليائه الداعين إليه وإلى كتابه، قال الله تعالى:﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ الله مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيْزٌ﴾، وإنا قوم عصمنا ربنا، ونَقَمْنا الجور المعمول به في أهل ملتنا، فوضعنا كل من توارث الخلافة، وحكم بالهوى، ونقض العهد، وصلى الصلاة لغير وقتها، وأخذ الزكاة من غير وجهها، ودفعها إلى غير أهلها،

ونسك المناسك بغير هديها، وجعل الفيء والأخماس والغنائم دولة بين الأغنياء، ومنعها المساكين وابن السبيل والفقراء، وعطَّل الحدود، وحكم بالرشا والشفاعات، وقرب الفاسقين، وَمَثَّل بالصالحين، واستعمل الخونة، وخون أهل الأمانات، وسلط المجوس، وجهز الجيوش، وقتل الولدان، وأمر بالمنكر، ونهى عن المعروف، يحكم بخلاف حكم الله، ويصد عن سبيله، وينتهك محارم الله، إلى قوله عليه السلام:

فمن سألنا عن دعوتنا، فإنا ندعو إلى الله وإلى كتابه، وإيثاره على ما سواه، وأن نصلي الصلاة لوقتها، ونأخذ الزكاة من وجهها، وندفعها إلى أهلها، وننسك المناسك بهديها، ونضع الفيء والأخماس في مواضعها، ونجاهد المشركين بعد أن ندعوهم إلى دين الحنيفية، وأن نجبر الكسير، ونفك الأسير، ونرد على الفقير، ونضع النخوة والتجبر والعدوان والكبر، وأن نرفق بالمعاهدين، ولا نكلفهم ما لا يطيقون.

ولما دخل عليه قوم في وقت دعوته فقالوا: إلى مَ تدعونا؟ فقال: (إلى كتاب الله، وإحياء السنن، وإطفاء البدع، فإن أجبتموني سعدتم، وإن أبيتم فلست عليكم بوكيل)، فهذه من أسباب دعوته وخروجه، وأنها لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن أعظم الأسباب الحاثة للإمام زيد عليه السلام على الخروج والجهاد في سبيل الله، ما روي من كلام الإمام زيد عليه السلام لجابر الجعفي عندما أزمع على الخروج، فقال له جابر: إني سمعت أخاك أبا

جعفر يقول: لا يخرج على هشام أحد إلا قتله.

فقال لي: يا جابر، لا يسعني أن أسكن وقد خولف كتاب الله، وتحوكم إلى الجبت والطاغوت، وذلك أني شاهدت هشاماً ورجل يهودي عنده يسب رسول الله . صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يُغَيِّر.

فقلت للساب له: ويلك يا كافر، أما إني لو تمكنت منك لاختطفت روحك، وعجلتك إلى النار.

فقال هشام: مهٍ عن جليسنا يا زيد؛ فوالله لو لم يكن إلا أنا ويحيى ابني لخرجت عليه وجاهدته حتى أفنى).

فالإمام زيد عليه السلام إنما قام غضباً لله؛ آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، ومحيياً للسنن والشرائع، ومميتاً للبدع والضلال، قام ثائراً لله ولدينه، لما تنكرت المعالم، وكثرت المظالم، واستضعف المظلوم وأعين الظالم، وأصبح من يدعى خليفة للمسلمين يسب عنده رسول رب العالمين ولا يظهر منه إنكار ولا تغيير بل يقره على عمله، وينهى من ينهاه عن قبيح فعله.

فلهذا وذاك خرج الإمام زيد ثائراً، رافضاً للظلم والإستبداد، رافعاً راية الجهاد، ساعياً للصلاح والرشاد.

لقاءات الإمام زيد (ع) مع هشام بن عبد الملك

كان للإمام زيد عدة لقاءات وخطابات خاطب بها قائد الظلم في عصره هشام بن عبد الملك الأموي الطاغية الغاشم يفحمه فيها، حتى يخجله بحضرة من جنده وجلسائه وملائه:

فمن ذلك: ما روي عن عمر بن علي بن الحسين، عن أخيه زيد بن علي عليهم السلام أنه كلم هشاماً، فقال له هشام: وأنت تكلمني، وأنت تأمرني بتقوى الله، فقال له زيد عليه السلام:

(إن الله لم يضع أحداً بموضع لا يَأمُرُ بتقوى الله، ولم يضع أحداً بموضع هو فوق أن يؤمر بتقوى الله، وإني آمرك بتقوى الله، وأحذرك عقوبة الله)، ثم خرج من بين يديه؛ فقال هشام: والله ما يؤمن هذا على وثبة يفرق بها بين الأمة.

ومن ذلك: ما روي عن سعيد بن خثيم عن أخيه معمر، قال: قال لي زيد بن علي عليه السلام:

(كنت أماري هشام بن عبد الملك وأكابده في الكلام، فدخلت عليه يوماً فذكر بني أمية، فقال: هم أشد قريش أركاناً، وأشيد قريش مكاناً، وأشد قريش سلطاناً، وأكثر قريش أعواناً، كانوا رؤوس قريش في جاهليتها، وملوكها في إسلامها.

فقلت: على من تفتخر، على هاشم أول من أطعم الطعام، وضرب

الهام، وخضعت له قريش بإرغام.

أم على عبد المطلب سيد مضر جميعاً – وإن قلت معد كلها صدقت – كان إذا ركب مشوا، وإذا انتعل احتفوا، وإذا تكلم سكتوا، وكان يطعم الوحش في رؤوس الجبال والطير والسباع والإنس في السهل، حافر زمزم، وساقي الحجيج، وربيع العمرتين، أم على بنيه أشرف رجال.

أم على سيد ولد آدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حمله الله على البراق، وجعل الجنة عن يمينه والنار بشماله، فمن تبعه دخل الجنة ومن تأخر عنه دخل النار.

أم على أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وابن عمه المفرج الكرب عنه، وأول من قال لا إله إلا الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبارزه فارس قط إلا قتله، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يقله في أحد من أصحابه ولا لأحد من أهل بيته.

قال: فاحمر وجهه وبهت –أي هشام–.

ومن ذلك: ما روي عن كليب الحارثي أن زيد بن علي عليه السلام دخل على هشام بن عبد الملك، وقد جمع له هشام الشاميين، فسلم عليه ثم قال له:

إنه ليس أحد من عباد الله فوق أن يوصى بتقوى الله، وأنا أوصيك بتقوى الله.

فقال له هشام: أنت زيد المؤمل للخلافة الراجي لها، وما أنت والخلافة وأنت ابن أَمَةٍ.

فقال له زيد عليه السلام: إني لا أعلم أحداً عندي أعظم منزلة عند الله من الأنبياء، وقد بعث الله نبياً هو ابن أمة، فلو كان ذلك تقصيراً عن حتم الغاية لم يُبعث، هو إسماعيل بن إبراهيم، والنبوة أعظم منزلة عند الله من الخلافة، فكانت أم إسماعيل مع أم إسحاق كأمي مع أمك، ثم لم يمنع ذلك أن جعله الله أبَ العرب وأبَ خير النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وما تقصيرك برجل جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبوه علي بن أبي طالب.

فوثب هشام من مجلسه، وتفرق الشاميون.

وفي رواية أخرى زاد فيها: أن هشاماً -لعنه الله- قال لأهل بيته لما خرج زيد من عنده: ألستم تزعمون أن أهل هذا البيت قد بادوا، لا لعمري ما انقرض قوم هذا خلفهم).

الإمام زيد والرافضة

من القضايا الهامة والخطيرة التي حصلت في أيام الإمام زيد عليه السلام، قضيةُ الرافضة، فلا بد أن نبينها، وأن نعرف من هم الرافضة، ولماذا أطلق عليهم هذا الاسم؟.

فالرافضة: اسم قبيح، ولقب فيه ذم وتشنيع لمن اتصف به، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في أصحاب هذا الاسم أخبار كثيرة:

منها: ما رواه الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: ((سيكون من بعدي قوم يرفضون الجهاد مع الأخيار من أهل بيتي، ويقولون ليس عليهم أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، يقلدون دينهم، ويتبعون أهوائهم).

ومنها: ما رواه في أمالي أحمد بن عيسى بسنده عن آبائه عن علي عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يكون قوم يهلكون بادعاء حبك، لهم نبز يعرفون به يقال لهم: الرافضة إن أدركتهم فاقتلهم فإنهم مشركون).

ومنها: ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب: (يا علي: إنه سيخرج قوم في آخر الزمان يهلكون بادعاء حبك، لهم نبز يعرفون به، يقال لهم الرافضة، فإن أدركتهم فاقتلهم، فإنهم مشركون، فهم لعمري شر الخلق والخليقة)، ولم يطلق هذا اللقب على أحد من الناس

قبل ظهور الإمام زيد عليه السلام، ولم يكن أحد يعرف من يكون هؤلاء.

فالإمام زيد عليه السلام لما ظهرت دعوته بايعه الناس وأقبلوا إليه من كل الطوائف والفرق جميعاً على اختلاف آرائهم ومذاهبهم، فلم يكن الزيدي أحرص عليها من المعتزلي، ولا المعتزلي أسرع إليها من المرجئي، ولا المرجئي من الخارجي، فكانت بيعته عليه السلام مشتملةً على فرق الأمة مع اختلافهم، فكلهم قد أجمعوا على إمامة زيد بن علي عليه السلام، ولم يتخلف عنه عليه السلام إلا طائفة قليلة، تركوا نصرته والجهاد معه، وشذّوا عنه بعد أن كانوا قد بايعوه.

فلما بلغهم أن سلطان الكوفة يطلب من بايع زيداً ويعاقبهم، خافوا على أنفسهم فخرجوا من بيعة زيد، ورفضوه مخافة من السلطان، ثم لم يدروا بم يحتجون على من لامهم، وعاب عليهم فعلهم، فقالوا بالوصية حينئذ، فقالوا كانت الوصية من علي بن الحسين إلى ابنه محمد، ومن محمد إلى جعفر، ليموهوا به على الناس، وليخذلوا عنه، فضلوا وأضلوا.

ولكن الإمام زيداً عليه السلام لم يرض بهذا التمويه والتلاعب فقد قطع شغبهم، وأبطل شبهتهم، وحسم الموقف، وقال لهم – حين قالوا: لست الإمام، قال: فمن هو؟ قالوا: ابن أخيك جعفر، فعند ذلك قال لهم–: إن قال جعفر هو الإمام فقد صدق، فاكتبوا إليه وسلوه)، فقالوا: الطريق مقطوع، ولا نجد رسولاً إلا بأربعين ديناراً، قال: (هذه أربعون ديناراً، فاكتبوا وأرسلوا إليه)، فلما كان من الغد أتوه، فقالوا: إنه يداريك قال: (ويلكم إمام يداري من غير بأس،

أو يكتم حقاً، أو يخشى في الله أحداً؟! اختاروا مني أن تقاتلوا معي، وتبايعوني على ما بويع عليه علي والحسن والحسين عليهم السلام، أو تعينوني بسلاحكم، وتكفوا عني ألسنتكم)، قالوا: لا نفعل، قال: (الله أكبر، أنتم والله الروافض الذي ذكر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (سيكون من بعدي قوم يرفضون الجهاد مع الأخيار من أهل بيتي، ويقولون ليس عليهم أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، يقلدون دينهم، ويتبعون أهوائهم))، ثم قال: (اللَّهُمَّ اجعل لَعْنَتَكَ ولعنةَ آبَائِي وَأَجْدَادِي، ولَعْنَتِي عَلَى هَؤلاءِ القَومِ الذَينَّ رَفَضُونِي، وخَرَجُوا مِن بَيْعَتِي، كمَا رَفَضَ أَهلُ حَروراءَ عَلِي بن أَبِي طَالِب ﷺ حتى حَارَبُوهُ).

وروى أيضاً أنهم دخلوا على زيد عليه السلام فقالوا: إلى مَ تدعونا؟

فقال: إلى كتاب الله، وإحياء السنن، وإطفاء البدع؛ فإن أجبتم سعدتم، وإن أبيتم فلست عليكم بوكيل.

قالوا: لا يسعنا ذلك، وخرجوا يقولون: سبق الإمام – يعنون بذلك جعفر الصادق–.

فلما كان فعلهم على ما ذكرنا، سماهم حينئذ زيد روافض.

وقد روى الطبري في تاريخه: أن طائفة من الرافضة قبل خروج زيد بن علي مروا بجعفر بن محمد فقالوا له: إن زيد بن علي فينا يُبَايَعُ، أفترى لنا أن نبايعه؟.

فقال لهم: نعم بايعوه، فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا، فجاؤوا فكتموا ما أمرهم به.

وقال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام: سميت الرافضة لرفضها آل رسول الله كلهم، ولاختيارها برأيها وأهوائها إماماً منهم، وليس بأعلمهم ولا أفضلهم، فهي يا بني كما سميت الرافضة من حق الله في الإمامة لما رفضت، والمبغضة من أولياء الله القائمين بالقسط لمن أبغضت، التي لم تَنَلْ أبرار آل نبيها صلى الله عليه وآله تجهيلاً وتضليلاً وتعويقاً للناس عنهم وتخذيلاً، صداً منهم عن سبيل الله، وتفريقاً عن جهاد أعداء الله، وانتصاحاً في ذلك لضدهم، وفرحاً في ذلك بمقعدهم عما قام به رسول رب العالمين، من جهاد الكفرة المضلين.

وأهل البيت عليهم السلام المتقدمون منهم والمتأخرون يصرحون بذمهم للرافضة، وتخطئتهم والإنكار عليهم، والرد لأقوالهم، والإبطال لشبههم، وقد ألفت المؤلفات في خصوص الرد عليهم ونقض شبههم، وإبطال محالاتهم التي يدعون، **فهذا هو سبب الرفض وسبب التسمية.**

فأما يرويه الخصوم ويروج له أعداء أهل البيت عليهم السلام، -ليلمزوا به من كان من الشيعة- من أن سبب التسمية بالرافضة هو أنهم طلبوا من الإمام زيد أن يتبرأ من الشيخين، فرفض، فامتنعوا من نصرته ورفضوا بيعته.

فنقول: لما كانت الرافضة مذمومة، وقد حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم بالشرك والكفر، فإن كل من يخشى أن يسمى به يحاول أن يرمي به خصومه، فالنواصب لما كانوا ممن يشمله اسم الرفض، ويدخلون تحت مسماه، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (يرفضون الجهاد مع الأخيار من ذريتي)، وهذا هو أهم الصفات، فمن رفض الجهاد مع الأئمة الدعاة فهو

رافضي، فهذا الوصف يدخل فيه النواصب من باب أولى، لأنهم يرفضون الجهاد مع الأئمة، بل ويحاربونهم، فلما خاف النواصب أن نسميهم بالرافضة للاشتراك في علة التسمية، خلقوا لهم علة غير مؤثرة في التسمية، وجعلوها سبب التسمية، وذلك غير صحيح من وجوه:

أولاً: أن المؤرخين وأهل السير ذكروا أن سبب التسمية لهم بذلك، هو رفضهم للجهاد مع الإمام زيد عليه السلام.

ثانياً: أن أهل البيت عليهم السلام مجمعون على ذلك السبب، ولا يختلفون في بطلان ما يجعله النواصب سبباً، وهم أعلم بذلك، لأن القضية تخصهم، وهم أهل الإدارة والشأن فيها.

ثالثاً: ليس هناك رواية تصحح ما يقوله النواصب في ذلك، لأن تلك الرواية من طريق المنحرفين عن أهل البيت، وهي رواية آحادية أيضاً.

رابعاً: أن هناك رواية أخرى عن الإمام زيد عليه السلام أنه لما سئل عن الشيخين، خطأهما ونسب ما أصابه من الظلم والقتل إليهما.

ومن ثَمَّ فإن الاسم وإن أطلق على الذين رفضوا بيعة الإمام زيد، فلا يمنع أن يطلق على غيرهم ممن حصلت فيه بعض الأوصاف المتقدمة، فأعداء أهل البيت ومبغضوهم ومن يميل إلى سواهم يشترك مع أولئك في اسم الرفض، وليس له عنه محيص، فاسم الرافضة لم ينته ولم يزل فلا يزال يتصف بهم أقوام ولو كانوا يدعون أنهم من أتباع أهل البيت، ما داموا يرفضون الجهاد والنصرة وقول الحق مع القائمين الكاملين من أهل البيت عليهم السلام.

مقدمات البيعة وكيفيتها

كان الإمام زيد عليه السلام مقيماً بالمدينة المنورة، وكان يدعو الناس إلى البيعة سراً، بشكل رسائل ومكاتيب إلى أوليائه وأصدقائه، ومواعظ وتعليمات في المجالس، يعظ فيها الناس، ويحذرهم من الظالمين، وينقم على الظالمين أعمالهم وفسادهم، فتولد الأمل في نفوس المؤمنين من أهل البيت وشيعتهم المظلومين المضطهدين إلى الإنتقام من أعدائهم؛ والأخذ بالثار منهم، وحصل لديهم الأمل في وجود من يقيم الحق في البرية، ويعدل في الرعية، ويقسم بالسوية.

فلما علم بذلك الأمويون سارعوا في رفع ذلك البلاغ إلى هشام بن عبد الملك، فسارع في طلب الإمام زيد إلى دمشق، بشبهة واهية، ولفق له قضية مفتراة – لتكون مقبولة عند الناس، وليموه عليهم أنه كوالٍ وخليفة من حقه أن يتصرف في أي قضية ترفع إليه ليُنصف فيه لصاحب الحق– تلك القضية هي المطالبة بدين ومال عند الإمام زيد لرجل يقال له خالد القسري، واختصارها كما يلي:

كان عامل المدينة من قبل هشام بن عبد الملك هو خاله إبراهيم بن هشام المخزومي، وكان يوسفُ بنُ عُمَر والياً لهشام على العراق، ولاه عليها بعد أن عزل خالد بن عبد الله القسري عن ولاية العراق، فادعى خالد بن عبد الله القسري أن له مالاً عند زيد بن علي، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وداود بن علي بن عبد الله بن العباس، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وأيوب بن سلمة المخزومي، فكتب يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك.

فمن الرواة من قال: كان زيد بن علي إذ ذاك في الرصافة فبعث إليه هشام بن عبد الملك وهو بالشام.

ومنهم من قال: كتب هشام إلى واليه على المدينة إبراهيم بن هشام المخزومي، وهو بعث بهم إلى هشام بن عبد الملك.

ثم إن هشاماً بعث بهم إلى يوسف بن عمر ليجمع بينهم وبين خالد القسري، ثم لما وصلوا إليه جمع بينهم وبين القسري، ثم أنكر القسري ما ادعى عليهم شيئاً، فعذبه يوسف، ثم استحلفهم بعد صلاة العصر ما لخالد قبلهم قليلاً ولا كثيراً، ثم خلى سبيلهم. فهذا اختصار القصة التي رواها المؤرخون على اختلافهم في عدد الأشخاص المدعى عليهم وفي سبب ادعاء خالد القسري عليهم ما ادعى، وهي تلفيقات واهية الغرض منها واضح.

وكان الإمام زيد كارهاً للخروج من المدينة المنورة، كما روي عن أبي عامر البناني واعظ أهل الحجاز، قال: سمعت زيد بن علي عليه السلام قبل أن يخرج من الحجاز إلى الشام وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أتاه قوم من بني هاشم وغيرهم يودعونه ويدعون له، فقال زيد: (إنه والله ما من مدينة هي أحب إلي من مدينة تضمنت جسد جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما كنت أحب أن أفارقه وقتاً واحداً، ولكنه سلطان طاغية، وجبار عنيد، ولا عون لي عليه، ولا مانع لي منه إلا الله رب العالمين)، ثم دعا عليه السلام بدعاء مذكور في ضمن أدعيته عليه السلام، وصلى جنب القبر وسلم عليه وودعه، ثم خرج وعيناه تذرفان بالدموع.

فخرج الإمام زيد إلى الشام وهو يعلم لماذا استدعي، فلما دخل إلى هشام أبدى له الأمر الذي من أجله استدعاه إليه، فقال له: أنت زيد المؤمل للخلافة، وما أنت وذاك وأنت ابن أمة، فأجابه الإمام زيد عليه السلام بقوله: إن الله بعث نبياً هو ابن أمة وهو إسماعيل بن إبراهيم، والنبوة أعظم من الخلافة، في خطاب طويل، ثم أمر هشام بسجن الإمام زيد عليه السلام.

وكان هشام يستدعيه من السجن فيدخل عليه الإمام زيد عليه السلام، وقد دارت بينهما عدة لقاءات ومخاطبات في عدة مجالس، في كلها يخرج الإمام زيد من عند هشام بعد أن يسمعه أشد القول، وأقسى الكلام، وأقوى العبارات، التي تدل على عدم الخوف من سلطانه –كما تقدم ذلك–.

ثم إن هشاماً أخرج الإمام زيداً من السجن، بعد أن هدده وتوعده.

فأقام الإمام في الشام مدة يختلف إليه فيها الشيعة، فخشي هشام من بقاءه، فأرسله إلى الكوفة بالعراق إلى يوسف بن عمر، فلما وصل الكوفة كان بها الدعوة العامة التي تمكن فيها من إرسال بعوثه ودعاته إلى النواحي.

فقيل: إن زيداً عليه السلام بقي بالكوفة، ويوسف بن عمر يضايقه على الخروج منها.

والسبب في مضايقته له بالخروج: هو الكتاب الذي أرسل به إليه هشام بن عبد الملك الذي رواه الطبري في تاريخه وهو: (أما بعد: فقد علمت بحال أهل الكوفة في حبهم أهل هذا البيت، ووضعهم إياهم في غير مواضعهم؛ لأنهم افترضوا على أنفسهم طاعتهم، ووظفوا عليهم شرائع دينهم، ونحلوهم

علم ما هو كائن، حتى حملوهم على تفريق الجماعة على حال استخفوهم فيها إلى الخروج، وقد قدم زيد بن علي على أمير المؤمنين في خصومة عمر بن الوليد ففصل بينهما، ورأى رجلاً جَدِلاً لَسِنَاً، خليقاً بتمويه الكلام وصوغه، واجترار الرجال بحلاوة لسانه، وبكثرة مخارجه في حججه، وما يدلي به عند لدد الخصام من السطوة على الخصم بالقوة الحادة لنيل الفلج، فعجل إشخاصه إلى الحجاز، ولا تخله والمقام قبلك، فإنه إن أعاره القوم أسماعهم فحشاه من لين لفظه، وحلاوة منطقه، مع ما يدلي به من القرابة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وجدهم ميلاً إليه ... إلى آخر الكتاب فهو طويل).

مع ما كان يبلغه من اختلاف الشيعة إليه، فجعل يوسف بن عمر يستحثه على الخروج، وزيد عليه السلام يعتل بأعذار، فلما رأى زيد عليه السلام جد يوسف في إخراجه تهيأ للخروج والرجوع إلى المدينة، فشخص حتى بلغ القادسية، فلحقه جماعة من أهل الكوفة، وقالوا له: أين تذهب عنا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة والبصرة وخراسان يضربون بني مروان دونك بأسيافهم غداً، وليس قبلك من أهل الشام إلا عدة يسيرة، فأبى عليهم؛ فلم يزالوا يناشدونه حتى ردوه إلى الكوفة بعد أن أعطوه العهود والمواثيق، فرجع إلى الكوفة متخفياً فبقي بها أشهراً.

قيل: إنه بقي أحد عشر شهراً، وهو مشغول بأخذ البيعة وبث الدعاة في الآفاق، فأقبلت إليه الشيعة وغيرهم، يختلفون إليه ويبايعونه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصة سوى أهل المدائن والبصرة والموصل وخراسان والري وجرجان.

نص البيعة

وكانت بيعته التي بايع الناس عليها أن يبدأ فيقول: إنا ندعوكم أيها الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وإلى جهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم الفيء بين أهله، ورد المظالم، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب، أتبايعونا على هذا؟

فإن قالوا: نعم، وضع يد الرجل على يده، فيقول: عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لتفين ببيعتي ولتقاتلن عدونا، ولتنصحن لنا في السر والعلانية.

فإذا قال: نعم، مسح يده على يده، ثم قال: اللهم اشهد].

خروجه عليه السلام وصفته

كان الإمام زيد عليه السلام قد واعد أصحابه على الخروج أول ليلة من صفر، ولكن يوسف بن عمر لما بلغه أن الشيعة قد بايعت زيداً عليه السلام، وأنهم في أهبة التهيؤ والاستعداد أقلقه الأمر وأزعجه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت.

وكان الذي أخبر يوسف بن عمر هو سليمان بن سراقة البارقي.

فقال له يوسف بن عمر: ويحك كيف علمت بذلك؟.

فقال: أخبرني الصدوق أنه قد بايعه الناس على ذلك، ووجه بكتبه إلى أهل السواد يواعدهم بالخروج.

فبعث يوسف إلى عامله بالكوفة الحكم بن الصلت، يحذره أمر زيد بن علي، ويأمره بالطلب والتفتيش، ثم أرسل إلى الطرق فأخذت، فكان لا يمر أحد إلا فُتِّشَ، مخافة أن يكون معه كتاب.

فبينما أهل المسالح من الشرطة على الطرق إذا برجل يمر، وفي يده عصاة، وهو مستعجل، فصاحوا به ثم قالوا: من أين أنت؟ قال: من بلاد الشام، ففتش فلم يجدوا معه شيء، فضرب أحد الشرطة يده إلى العصا فأخذها، وجعل يقلبها وينظر إليها، فإذا على ناحية منها قطعة شمع ملصقة، فقلع ذلك الشمع، فإذا جانب العصا مجوفة وفي جوف الحفر كتاب مدرج، فأخذ الكتاب والرجل، فأتى بهما إلى يوسف بن عمر، فأخذ الكتاب ففضه، فإذا

فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من زيد بن علي بن الحسين بن علي إلى أهل الموصل، وسائر بلاد الجزيرة، سلام عليكم، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، الذي خلقكم ورزقكم، وبيده أموركم، وإليه مصيركم، فإنكم قد أصبحتم تعرفون الحق إذ أنتم تواصفونه بينكم، ووصفه واصف لكم، ولا ينتفع واصف الحق ولا الموصوف له حتى يُعينَ من قام به عليه، وقد قال الله تعالى: **{والعَصْر (١) إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْر}**[العصر:١-٣]، وقد دعا محمد صلى الله عليه وآله أهل الكتاب من قبل، كما أمره الله سبحانه فقال: **{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ}**[آل عمران:٦٤]، وقد عرفتم حالكم الذي أنتم عليه من الفتنة في دينكم، والبلاء في معايشكم، من أمر سفك الدماء، والاستئثار عليكم بفيئكم، فهذا ما أنتم عليه اليوم مقيمون، وبه آخذون، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيئه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والدفع عن المستضعفين، ومجاهدة الظالمين، الذين ابتزوا أهل البيت - بيت نبي رب العالمين- فبادروا إلى عبادة الله، واحذروا أن يحل بكم عذاب الله وبأسه، وما حل على من كان قبلكم من أهل معصيته، والتولي عن أمره، وراجعوا الحق واحموا أهله، وكونوا لهم أعواناً إليه، لتكونوا من المفلحين، والسلام على عباد الله الصالحين، وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما قرأ يوسف بن عمر هذا الكتاب تغير وجهه، وامتلاء غيظاً وغضباً، ثم قدم ذلك الرجل الذي معه الكتاب، فضرب عنقه صبراً، وبعث إلى عامله بالكوفة الحكم بن الصلت، فأمره أن يطوف بالكوفة بالليل، وأن يستبحث بالنهار عن زيد بن علي.

وكان قد سُعِيَ إلى يوسف بن عمر أيضاً بأن زيداً في دار رجلين، فبعث يوسف في طلب زيد ليلاً فلم يوجد عند الرجلين، فأتي بهما إلى يوسف فلما كلمهما استبان له أمر زيد عليه السلام، وأمر بهما فضربت أعناقهما،فلما بلغ الإمام زيد بن علي، فخاف على نفسه أن يؤخذ قبل الأجل الذين بينه، وبين أهل السواد فلم يدر ما يصنع، وتخوف أن تؤخذ عليه الطريق، وأن يوقف على مكانه، وهو منفرد عن أصحابه، فتعجل الخروج قبل الأجل الذي بينه وبين أهل الأمصار.

وكان ديوانه عليه السلام قد اشتمل على أسماء خمسة عشر ألف مقاتل من أهل الكوفة، سوى من بايعه في جميع البلدان، فاضطر الإمام إلى الخروج في يوم الأربعاء ٢٣ من محرم – وهو كاره للخروج في ذلك الوقت–.

وكان قيامه وخروجه من دار معاوية بن إسحاق الأنصاري، وشعاره شعار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا منصور أمت)، ليلة الأربعاء في ليلة شديدة البرد.

فخرج عليه السلام على بغلة شهباء، وعليه عمامة سوداء، وبين يدي قربوس سرجه مصحف، والقراء والفقهاء محيطون به، والرايات والألوية تخفق

على رأسه، وأصحابه عليه السلام في أهبة جميلة، وشارة حسنة، وعدة كاملة لم تر العيون أحسن منها، لم يُر يوم في الكوفة أبهى منه، ولا رجالاً كان أكثر قراءة ولا فقهاً، ولا أوفر سلاحاً من أصحاب الإمام زيد بن علي عليه السلام، وهو يقول عليه السلام: (أيها الناس، أعينوني على أنباط أهل الشام، فوالله لا يعينني أحد عليهم إلا رجوت أن يأتي يوم القيامة آمنا، حتى يجوز على الصراط، ويدخل الجنة، والله ما وقفت هذا الموقف حتى علمت التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والحلال والحرام بين الدفتين).

ثم كتَّبَ كتائبه، وعبَّئ أصحابه، فلما خفقت راياته رفع يده إلى السماء، ثم قال: (الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أني لقيت محمدا صلى الله عليه وآله وسلم، ولم آمر أمته بالمعروف، ولم أنههم عن المنكر، والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه أججت لي نار ثم قذفت فيها، ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة الله تعالى، والله لا ينصرني أحد إلى كان في الرفيق الأعلى مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ويْحكم! أما ترون هذا القرآن بين أظهركم، جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونحن بنوه.

يا معشر الفقهاء، ويا أهل الحجى، أنا حجة الله عليكم، هذه يدي مع أيديكم على أن نقيم حدود الله، ونعمل بكتاب الله، ونقسم بينكم فيئكم بالسوية، فسلوني عن معالم دينكم، فإن لم أنبئكم بكل ما سألتم عنه، فولوا من شئتم ممن علمتم أنه أعلم مني، والله لقد علمت علم أبي علي بن الحسين، وعلم جدي الحسين بن علي، وعلم علي بن أبي طالب عليهم

السلام، وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعَيْبَة علمه، وإني لأعلم أهل بيتي، والله ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، ولا انتهكت محرماً منذ عرفت أن الله يؤاخذني به، هلموا فاسألوني).

ثم قال: (اللهم لك خرجت، وإياك أردت، ورضوانك طلبت، ولعدوك نصبت، فانتصر لنفسك ولدينك ولكتابك ولنبيك، ولأهل بيت نبيك، ولأوليائك من المؤمنين، اللهم هذا الجهد مني وأنت المستعان).

وجعل أصحابه عليه السلام ينادون بشعارهم ليجتمع إليهم الناس الذين قد بايعوا، فلم يجتمع إلا نفر قليل.

وكان يوسف بن عمر قد حصر الناس في المسجد الأعظم، فلما رأى الإمام قلة من معه قال: أين الناس؟ فقيل: حصرهم الوالي في المسجد، فقال: أظنهم فعلوها حسينية، ما هذا لمن بايعنا بعذر، فتوجه الإمام بمن معه إلى المسجد، وجعل يناديهم هو وأصحابه: يا أهل الكوفة، اخرجوا من الذل إلى العز، والناس لا يجيبون، فهذا هو مخرجه عليه السلام.

منهجية الإمام زيد عليه السلام في قيامه وجهاده

لقد كان للإمام زيد عليه السلام في قيامه وجهاده منهجية وطريقة عظيمة، يستشف القارئ من خلاله، ويتبين للمطلع منها أن الإمام زيد كان بعيداً كل البعد عن أي دعوى سياسية، أو أطماع رئاسية، أو منافسة دنيوية، وإنما كان همه الأول والأخير هم الأمة، وتحسين وضعها الديني، والرفع من مستواها المتدني في جميع حالاتها، الدينية والدنيوية والأخروية، ولم يفكر في نفسه أو ذاته حتى لو هلك وباد، كما قال عليه السلام في رسالته إلى علماء الأمة:

(وقد كتبت إليكم كتاباً بالذي أريد من القيام به فيكم، وهو العمل بكتاب الله تعالى، وإحياء سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فبالكتاب قوام الإيمان، وبالسنة يثبت الدين، وإنما البدع أكاذيب تخترع، وأهواء تتبع، يتولى فيها وعليها رجال رجالاً، صدُّوهم عن دين الله، وذادوهم عن صراطه، فإذا غَيَّرها المؤمن، ونهى عنها، قال المفسدون: جاءنا هذا يدعونا إلى بدعة.

وأيم الله ما البدعة إلا التي أحدث الجائرون، ولا الفساد إلا الذي حكم به الظالمون، وقد دعوتكم إلى الكتاب فأجيبوا داعي الله وانصروه.

فوالذي بإذنه دعوتكم، وبأمره نصحت لكم، ما ألتمس أثرة على مؤمن، ولا ظلماً لمعاهد، ولوددت أني قد حميتكم مراتع الهلكة، وهديتكم من الضلالة، ولو كان أوقد ناراً فأقذق بنفسي فيها – لا يقربني ذلك من سخط الله – زهداً في هذه الحياة الدنيا، ورغبة مني في نجاتكم وخلاصكم، فإن أجبتمونا إلى دعوتنا كنتم السعداء والموفرين حظاً ونصيباً.

عباد الله: انصحوا داعي الحق وانصروه، إذ قد دعاكم لما يحييكم، ذلك بأن الكتاب يدعوا إلى الله، وإلى العدل والمعروف، ويزجر عن المنكر، فقد نظرنا لكم، وأردنا صلاحكم، ونحن أولى الناس بكم، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جدنا، والسابق إليه المؤمن به أبونا، وابنته سيدة النسوان أمنا، فمن نزل منكم منزلتنا؟ فسارعوا عباد الله إلى دعوة الله، ولا تنكلوا عن الحق، فبالحق يُكْبَت عدوكم، وتمنع حريمكم، وتأمن ساحتكم.

وذلك أنا ننزع الجائرين عن الجنود، والخزائن والمدائن، والفيء والغنائم، ونُثْبِت الأمين المؤتمن، غير الراشي المرتشي الناقض للعهد، فإن نظهر فهذا عهدنا، وإن نستشهد فقد نصحنا لربنا، وأدينا الحق إليه من أنفسنا، فالجنة مثوانا ومنقلبنا، فأي هذا يكره المؤمن؟ وفي أي هذا يرهب المسلم؟ وقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: **{وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً}**[النساء:١٠٧].

وإذا بدت الخيانة وخربت الأمانة، وعمل بالجور فقد أفتضح الوالي، فكيف يكون إماماً على المؤمنين من هذا نعته وهذه صفته؟).

وقال عليه السلام في كلام له أثناء الرسالة: (لا نريد بذلك سلطاناً في الدنيا إلا سلطانك، ولا نلتمس بذلك أثرة على مؤمن ولا مؤمنة ولا حُرٍّ ولا عبد).

ولنأخذ بعض الأمثلة التي نعرف من خلالها منهجيته وطريقته في الدعوة والجهاد:

أولاً: كان يريد عليه السلام من الأمة أن تعرف الأخطاء والضلالات

التي ارتكبها الظالمون، وأن يعلمها المخالفات التي أوقعها المتسلطون في دين الإسلام، حتى يستيقظوا من رقدتهم، وينتبهوا من غفلتهم، ويعرفوا ماذا يحاك لهم ويعمل بهم ضدهم، كما قال عليه السلام في بعض رسائله إلى الناس:

(وقد عرفتم حالكم الذي أنتم عليه من الفتنة في دينكم، والبلاء في معايشكم، من سفك الدماء، والاستئثار عليكم بفيئكم، فهذا ما أنتم عليه اليوم مقيمون، وبه آخذون، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيئه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والدفع عن المستضعفين، ومجاهدة الظالمين الذين ابتزوا أهل بيت نبي رب العالمين).

وقال في رسالة أخرى: (ونقمنا الجور المعمول به في أهل ملتنا، فوضعنا كل من توارث الخلافة، وحكم بالهوى، ونقض العهد، وصلى الصلاة لغير وقتها، وأخذ الزكاة من غير وجهها، ودفعها إلى غير أهلها، ونسك المناسك بغير هديها، وجعل الفيء والأخماس والغنائم دولة بين الأغنياء، ومنعها المساكين وابن السبيل والفقراء، وعطل الحدود، وحكم بالرشا والشفاعات، وقرب الفاسقين، فمثل بالصالحين، واستعمل الخونة وخون أهل الأمانات، وسلط المجوس، وجهز الجيوش، وقتل الولدان، وأمر بالمنكر، ونهى عن المعروف، يحكم بخلاف حكم الله، ويصد عن سبيله، وينتهك محارم الله، فمن أشر عند الله منزلة ممن افترى على الله كذباً، أو صدّ عن سبيل الله وبغى في الأرض).

ثانياً: كان يعيب على الأمة إغضائها على الجور، وسكوتها على المنكر، وهي الأمة الوسط التي جاء الثناء عليها، والإختيار لها، فلا ينبغي لها أن

تقصر فيما عليها، وعليها أن تعرف حملها وتتحمل مسؤليتها، كل بحسب مكانته وموقعه، ومقدار استطاعته ونفعه، ويبين لها فضل الجهاد في سبيل الله، وأن ترك الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي جعلها تعيش حالة تعيسة من الذل والهوان، كما قال عليه السلام: (أيها الناس عليكم بالجهاد، فإنه قوام الدين، وعمود الإسلام، ومنار الإيمان، واعلموا أنه ما ترك قوم الجهاد قط إلا حقروا وذلوا).

ثالثاً: كان الإمام عليه السلام يعلم أن من أعظم الأسباب التي أضعفت المسلمين، ومكنت المتجبرين، هو ضعف علماء الدين عن القيام بواجبهم، ومداهنتهم للمبطلين توصلاً إلى السلامة من طغيانهم، وإغضائهم عن كثير من أفعال الظالمين كأنهم لا يعرفونها ليسلموا من ظلمهم، وميلهم إلى الراحة والدعة والرفاهة دون التألم لما ينال المستضعفون من أعدائهم، ويبين الإمام عليه السلام أن واجبهم الديني يحتم عليهم أشياء كثيرة قد رأوا لأنفسهم الترخيص فيها والتسهيل، ومحاولة التخلص منها بأوهى شبهة وأدنى أمارة بدون دليل، فوضع رسالة أرسلها إلى علماء الأمة يبين فيها المسؤلية الكبرى، والأمانة العظمى التي طوقت بها أعناقهم، ولا نجاة لهم إلا ببيانها وسلوكها، فقال عليه السلام:

(إني أوصيكم معشر العلماء بحظكم من الله في تقواه وطاعته، وأن لا تبيعوه بالمكس من الثمن، والحقير من البذل، واليسير من العوض، فإن كل شيء آثرتموه، وعملتم له من الدنيا، ليس بخَلَفٍ ما زين الله به العلماء من عباده الحافظين؛ لرعاية ما استرعاهم، واستحفظهم من أمره ونهيه، وذلك بأن العاقبة للمتقين، والحسرة والندامة والويل الدائم للخاسرين الفاجرين.

فتفكروا عباد الله، واعتبروا وانظروا وتدبروا وازدجروا بما وعظ الله به هذه الأمة، من سوء ثنائه على الأحبار والرهبان إذ يقول **{لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}**، وإنما عاب ذلك عليهم، بأنهم كانوا يشاهدون الظَّلمة الذين كانوا بين ظهرانيهم يأمرون بالمنكر، ويعملون الفساد، فلا ينهونهم عن ذلك، ويرون حق الله مضيعاً، ومال الله دولة يؤكل بينهم ظلماً، ودولة بين الأغنياء، فلا يمنعون من ذلك رغبة[أي زهداً] في ما عند الله، ورغبة[أي طلباً] فيما عندهم من العرض الآفل، والمنزل الزايل، ومداهنة منهم على أنفسهم، وقد قال عز وجل لكم **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}**، كيما تحذروا، وإذا رأيتم العَالِم بهذه الحالة والمنزلة، منزلة من عاث في أموال الناس بالمصانعة والمداهنة، والمضارعة لظلمة أهل زمانهم، وأكابر قومهم، فلم ينهوهم عن منكر فعلوه؛ رغبة فيما كانوا ينالون من السحت بالسكوت عنهم، وكان صدودهم عن سبيل الله رغبة في الإتباع لهم، والاغترار بإدهانهم، ومعاونتهم الجائرين الظالمين المفسدين في البلاد؛ وذلك بأن أتباع العلماء يختارون لأنفسهم ما اختار علمائهم.إلى قوله عليه السلام:

(فإنما تصلح الأمور على أيدي العلماء وتفسد بهم إذا باعوا أمر الله ونهيه بمعاونة الظالمين الجائرين، فكذلك الجهال والسفهاء إذا كانت الأمور بأيديهم لم يستطيعوا إلا بالجهل والسفه إقامتها، فحينئذ تصرخ المواريث، وتضج الأحكام، ويفتضح المسلمون، وأنتم أيها العلماء عصابة مشهورة، وبالورع

مذكورة، وإلى عبادة الله منسوبة، وبدراسة القرآن معروفة، ولكم في أعين الناس مهابة، وفي المدائن والأسواق مكرمة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويرهبكم من لا فضل لكم عليه، يُبدأ بكم عند الدعوة والتحفة، ويشار إليكم في المجالس، وتشفعون في الحاجات إذا امتنعت على الطالبين، وآثاركم مُتَّبَعة، وطرقكم تُسْلك، كل ذلك لما يرجوه عندكم من هو دونكم من النجاة في عرفان حق الله تعالى، فلا تكونوا عند إيثار حق الله تعالى غافلين، ولأمره مضيعين، فتكونوا كالأطباء الذين أخذوا ثمن الدواء وأعطبوا المرضى، وكرعاة استوفوا الأجر وظلوا عن المرعى، وكحراس مدينة أسلموها إلى الأعداء، هذا مثل علماء السوء)، إلى قوله عليه السلام:

(والذي نفس زيد بن علي بيده لو بينتم للناس ما تعلمون، ودعوتموهم إلى الحق الذي تعرفون، لتضعضع بنيان الجبارين، ولتهدم أساس الظالمين، ولكنكم اشتريتم بآيات الله ثمناً قليلاً، وداهنتم في دينه، وفارقتم كتابه، هذا ما أخذ الله تعالى عليكم من العهود والمواثيق، كي تتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فأمكنتم الظلمة من الظلم، وزينتم لهم الجور، وشددتم لهم ملكهم بالمعاونة والمقاربة، فهذا حالكم).

رابعاً: في مواجهة الحق والباطل لا بد من بيان الموقف الذي تتخذه، إما ناصراً للحق خاذلاً للباطل، أو العكس والعياذ بالله، فإذا طلب الإنسان لنفسه طريقاً أخرى يطلب فيها النجاة والسلامة فلن يجدها، فإذا سولت له نفسه بأن السكوت والإعراض عن ذلك طريق نجاة فقد تورط، ولهذا لما علم الإمام عليه السلام بخطر السكوت عن الحق، وميل أكثر الناس إليه، نبه على ذلك فقال:

(عباد الله: إن الظالمين قد استحلوا دمائنا، وأخافونا في ديارنا، وقد اتخذوا خُذْلانكم حجة علينا في ما كرهوه من دعوتنا، وفيما سفهوه من حقنا، وفي ما أنكروه من فضلنا.

عباد الله: فأنتم شركاؤهم في دمائنا، وأعوانهم في ظلمنا، فكل مال لله أنفقوه، وكل جمع جمعوه، وكل سيف شحذوه، وكل عدل تركوه، وكل جور ركبوه، وكل ذمة لله أخفروها، وكل مسلم أذلوه، وكل كتاب نَبَذوه، وكل حكم للَّه تعالى عطلوه، وكل عهد لله نقضوه، فأنتم المعاونون لهم على ذلك، بالسكوت عن نهيهم عن السوء).

خامساً: لم يكن همّ الإمام عليه السلام أن يحشد لنفسه الأنصار، وأن يجمع الجموع على غير معرفة منهم بما يدعوهم إليه، ولا وعي فيما هم فيه داخلون من الأمر، بل يريد منهم المعرفة واليقين والبصيرة التي من خلالها يعرفون أنه على الحق وأن خصمه على الباطل، كما قال عليه السلام في خطبة خطب أصحابه قبل بدء المعركة:

(عباد الله: لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة البصيرة، ثم القتال، فإن الله يجازي على اليقين أفضل جزاء يجزي به على حق، إنه من قتل نفساً بشك في ضلالتها كمن قتل نفساً بغير حق، عباد الله: البصيرة البصيرة)، قال أبو الجارود: فقلت له: يا ابن رسول الله، يبذل الرجل نفسه على غير بصيرة؟

قال: (نعم، إن أكثر من ترى عشقت نفوسهم الدنيا، فالطمع أرداهم إلا

القليل الذين لا تخطر على قلوبهم الدنيا، ولا لها يسعون فأولئك مني وأنا منهم).

فانظر إلى هذه المنهجية العالية المستوى، التي تدل على ثقة الإمام بمبدئه وأحقيته، وباطل خصمه وضلالته، يالها من منهجية تخالف همجية أرباب الدنيا.

سادساً: كان يتمتع الإمام زيد عليه السلام بنفس قيادية عالية، وروح جهادية سامية، وصرامة في الحق وصراحة، فالجندي الذي يخالف القائد لا خير فيه، والقائد الذي يخون جنوده لا خير فيه أيضاً، فالإمام زيد لم ينس أصحابه الأوفياء من التعليمات الجهادية، والخطوات القتالية، التي من خلالها يعرفون من الذي ينبغي لهم أن يقتلوه، والذي يتركوه، والمال الذي يأخذوه، فها هو يقف خطيباً مبيناً قائلاً لجيشه وأصحابه:

(إذا لقيتم القوم فادعوهم إلى أمركم، فلأن يستجيب لكم رجل واحد خير لكم مما طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة، وعليكم بسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالبصرة والشام، لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً، والله على ما أقول وكيل).

فإذا تغيرت عند القائد بعض الوجهات والأوامر فلا بد من إبلاغ الجيش، كي لا يبقوا على غرة من أمرهم، كما فعل الإمام عليه السلام فإنه بعد أن ألقى تلك التعليمات الأولى وبدأت المعركة، سمع الظالمين والطغاة يسبون أمير المؤمنين علياً عليه السلام، فسرعان ما بلغهم بقوله:

(والله لو علمت عملاً هو أرضى لله عز وجل من هذا الذي وضعت يدي فيه لفعلت ولأتيته، ولكن والله لا أعلم عملاً هو أرضى لله من قتال

أهل الشام لأفعله، وقد كنت نهيتكم أن لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً، وإني سمعتهم يسبون علي بن أبي طالب عليه السلام فاقتلوهم من كل وجهة).

سابعاً: السلبيات والإيجابيات في المعركة محسوبة على القائد ومضافة إليه، وهو الذي يتحمل عاقبة حسنها وقبحها، ولو صدرت من بعض أفراد الجيش لا سيما مع علمه بها، ولما كان في الجنود من قد يظن بأنه يحل له كذا وكذا، أو يريد أن يتوصل بالقتال ليشفي شيئاً في نفسه، أو لينتقم من عدو له، وقد يبلغ ذلك إلى القائم بالأمر فإن كان مما لا يحل ولا يجوز فلابد من أن ينبه على ذلك، حتى لا يضاف إليه شيئاً من سيئاتها، ولينجو عند الله غداً من تبعاتها، فمن قبل وانقاد فقد فاز، ومن رفض وخالف فقد خسر، كما فعل الإمام زيد عليه السلام في هذه الرواية الآتية:

فإنه لما قام الإمام زيد عليه السلام، بلغه أن قوماً من غلاة الشيعة يقولون: نحن نحكم في دماء بني أمية وأموالهم برأينا، وكذلك نفعل برعيتهم.

فلما بلغه ذلك صعد المنبر في الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال:

(بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: أيها الناس إنه لا يزال يبلغني منكم، أن قائلاً يقول: إن بني أمية فَيْءٌ لنا، نخوض في دمائهم، ونرتع في أموالهم، ويقبل قولنا فيهم، وتصدق دعوانا عليهم، حكم بلا علم، وعزم بلا روية، جزاء السيئة سيئة مثلها، عجباً لمن نطق بذلك لسانه، وحدثته به نفسه،

أبكتاب الله تعالى حكم؟! أم بسنة نبيئه صلى الله عليه وآله وسلم اتبع؟! أم طمع في ميلي معه، وبسطي يدي في الجور له؟! هيهات هيهات، فاز ذو الحق بما يهوى، وأخطئ الظالم بما تمنى، حق كل ذي حق في يده، وكل ذي دعوى على حجته، وبهذا بعث الله أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، ولم يخطِ المنصف حظه، ولم يُبْقِ الظالم على نفسه، أفلح من رضي بحكم الله، وخاب من أرغم الحق أنفه، العدل أولى بالآخرة ولو كره الجاهلون.

حق لمن أمر بالمعروف أن يجتنب المنكر، ولمن سلك سبيل العدل أن يصبر على مرارة الحق، كل نفس تسموا إلى مناها، ونعم الصاحب القنوع، ويل لمن غصب حقاً، أو ادعى باطلاً.

أيها الناس: أفضل العبادة الورع، وأكرم الزاد التقوى، فتورعوا في دنياكم، وتزودوا لآخرتكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وإياكم والعصبية، وحمية الجاهلية، فإنهما يمحقان الدين، ويورثان النفاق).

فانظر إلى المعاملة الدينية حتى إلى أعدائه، فإنه لم يحمله ما قد فعله بنو أمية وأشياعهم بأهل البيت وأتباعهم، على أن يغضب ويتعصب حتى يخرج إلى أن يقول أو يفعل ما ليس له ولا يحل، لأخذ الثار والإنتقام، بل قيد الفتك الإيمان، ومنع من الحمية والعصبية خوف الرحمن، فهذه هي منهجية الإمام زيد وطريقته، التي سلكها الأئمة في قيامهم وجهادهم، ومنها لا بد أن يتعلم ويستفيد ويعرف كيف يتعامل مع أوليائه ومع أعدائه.

بداية سير المعركة

كان عدد من خرج معه عليه السلام في أول الأمر خمسة آلاف، ثم بدأوا في التناقص والتراجع والنكث، فلم يزل أهلُ الكوفة يخرج الواحد منهم إلى أخيه، والمرأة إلى زوجها، والبنت إلى أبيها، والصديق إلى صديقه، فيبكي عليه حتى يرده، فأمسى عليه السلام وقد رق عسكره، وخذله كثير ممن كان معه، ولم يبق مع الإمام تلك الليلة إلا خمسمائة رجل، وأهل الشام في اثني عشر ألفاً.

وكان يوسف بن عمر قد أرسل إلى الحكم بن الصلت يحذره أمر زيد، وينذره بعزمه، فجمع ابن الصلت يوم الثلاثاء كلَّ شريف مذكور من أهل الكوفة، فأدخلهم المسجد الجامع، وهم أكثر من ثلاثة آلاف، ووكل بهم أكثر من ألف مدجج يحفظونه، والأبواب مغلقة عليهم، وأكثر وجوه الشيعة فيهم، وذلك قبل خروج زيد بيوم.

فلما أصبح الإمام زيد بن علي عليه السلام صباح يوم الأربعاء كان جملة من وافاه من أصحابه في تلك الليلة مائتان وثمانية عشر رجلاً.

فقال عليه السلام: سبحان الله، أين الناس؟!

فقيل له: هم في المسجد الأعظم محصورون.

فقال عليه السلام: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر، ثم نادى أصحابه: معاشر المسلمين أجيبوا دعوة ابن نبيكم، ولا تنقضوا بيعتكم.

فأرسل عليه السلام القاسم بن كثير ورجل آخر يناديان بالشعار، فلم يجبهم أحد، ولقيتهم شرطة يوسف بن عمر فقتلوهما.

وسمع نصر بن خزيمة النداء فأقبل إليه، فلقي عمر بن عبد الرحمن

صاحب شرطة الحكم بن الصلت في خيله من جهينة في الطريق الذي يخرج إلى مسجد بني عدي، فقال نصر: يا منصور أمت، فلم يرد عليه عمر شيئاً، فشد نصر عليه وعلى أصحابه، فقتله نصر، وانهزم من كان معه.

وانضم إلى زيد عليه السلام نحو من خمسمائة رجل.

ثم أقبل عليه السلام حتى انتهى إلى جبانة الصيادين، وبها خمسمائة من أهل الشام، فحمل عليهم في أصحابه فهزمهم.

ثم أرسل يوسف بن عمر الجواسيس ليأتوا بخبر الإمام وجيشه، وأرسل كتائبه وقواده إلى جهات الكوفة لمحاصرة الإمام ومن معه، وسار الإمام بمن معه حتى انتهى إلى الكناسة، فحمل على جماعة من أهل الشام كانوا بها، ثم سار إلى الجبانة، ويوسف بن عمر لعنه الله تعالى مع أصحابه على التل، ينظر إلى زيد وأصحابه وهم يكرون، ولو شاء زيد أن يقتل يوسف لقتله، فشد بالجمع على زيد عليه السلام وأصحابه، فشدّ عليهم الإمام وأصحابه كأنهم الليوث، حتى قتلوا منهم أكثر من ألفي رجل ما بين الحيرة والكوفة.

وحصل في ذلك اليوم قتال شديد بين الفريقين في نواحي الكوفة، قُتِلَ وجُرِحَ من أهل الشام كثير، وهزموهم في أكثر النواحي، وجعل يوسف بن عمر يوجه بقائد بعد قائد من وجوه أهل الشام، والإمام زيد بن علي واقف على أقل من ثلاث مائة رجل، فليس يقدم عليه جيش إلا أتى على عامته، وهو في خلال ذلك يرفع صوته ويقول: (أيها الناس إنكم قد بايعتمونا، وأخذنا عليكم العهود والمواثيق إنه قد جاء الحق، وزهق الباطل).

فرجع أهل الشام مساء يوم الأربعاء، وهم أسوء شيء ظناً.

قال سعيد بن خثيم: فكنا مع زيد بن علي عليه السلام في خمس مائة، وأهل الشام اثنا عشر ألفاً، وقد كان بايع زيد عليه السلام أكثر من اثني عشر ألفاً، فغدروا به، إذ فصل رجل من أهل الشام من كلب على فرس له رائع، فلم يألُ شتماً لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجعل زيد عليه السلام يبكي حتى لثقت لحيته، وجعل يقول: (أما أحد يغضب لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟! أما أحد يغضب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟! أما أحد يغضب لله تعالى ؟!).

قال: ثم تحول الشامي عن فرسه فركب بغلة، قال: وكان الناس فرقتين نظارة ومقاتله، قال سعيد: فجئت إلى مولى لي، فأخذت منه مشتملاً كان معي، ثم استترت من خلف نظارة، حتى إذا صرت من ورآئه ضربت عنقه، وأنا مستمكن منه، فوقع رأسه بين يدي بغلته، ثم رميت جيفته من السَّرج، وشد أصحابه عليَّ حتى كادوا يرهقونني، فكثر أصحاب زيد، وحملوا عليهم، فاستنقذوني، فأتيت زيداً عليه السلام فجعل يقبل بين عيني ويقول: (أدركت والله ثأرنا، أدركت والله شرف الدنيا والآخرة وذخرهما، اذهب بالبغلة فقد نفلتكها)، ثم عاد للمبيت ليلة الخميس.

فلما كان يوم الخميس خرج إليهم زيد بن علي عليه السلام وعلى ميمنته نصر بن خزيمة، ومعاوية بن إسحاق، والتقوا بأهل الشام، واقتتلوا قتالاً شديداً في المعركة، فقتل نصر بن خزيمة رحمه الله وكثير من أصحاب الإمام عليه السلام، وكانت الحرب بينهم يومئذ سجالاً، تارة للإمام وتارة عليه.

فرسان الإمام زيد عليه السلام ومقتل بعض أصحابه

لقد جاهد بين يدي الإمام عليه السلام كثير من العلماء والفضلاء وأهل البصائر، وكان معه عدد من الفرسان والأبطال المعدودين، ونذكر منهم من يلي:

١- نصر بن خزيمة العبسي

كان نصر من أشجع الناس، ومن الفرسان المعدودين، وجاهد مع الإمام عليه السلام جهاد الأبطال الأوفياء، وثبت في مواطن الثبات والصبر، التي تخلف عنها غيره من أهل النكث والغدر.

ومن مواقفه المشهورة: أن الإمام لما رأى قلة من معه فقال: أين الناس؟ فقيل: حصرهم الوالي في المسجد، فقال: أظنهم فعلوها حسينية، ما هذا لمن بايعنا بعذر.

فقال له نصر بن خزيمة: أما أنا يا ابن رسول الله فأضرب بين يديك بسيفي هذا حتى أفنى، فجزَّاه الإمام خيراً، وأبلى بين يدي الإمام بلاء حسناً، وقتل جماعة من أهل الشام، وفرق جماعتهم.

وكان في أهل الشام رجل من بني عبس يقال له نائل بن فروة، قال ليوسف بن عمر: والله لإن ملأت عيني من نصر بن خزيمة لأقتلنه أو ليقتلني.

فقال له يوسف: خذ هذا السيف، فأعطاه سيفاً لا يمر بشيء إلا قطعه.

فلما التقى أصحاب زيد وأصحاب العباس المزني، أبصر نائلٌ نصرَ بن

خزيمة؛ فضربه بالسيف فقطع فخذه، وضربه نصر فقتله؛ ومات نصر رحمه الله.

٢- معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري

ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري، استشهد بين يدي زيد بن علي عليه السلام في المعركة، بعد أن أبلى بلاء حسناً، وكان على أحد مجنبتي زيد عليه السلام، وفيه وفي نصر يقول الشاعر:

ترى الخيل تبكي أن ترى الخيل لا ترى معاوية الهندي فيها ولا نصرا

٣- بشر بن سالم العبسي

وهو الذي برز في المعركة وهو يرتجز ويقول:

إن تعرفوني فأنا ابن عبسِ أشجع من ليث حمى عن عرسِ
ليث هزبر الشدق حمر الخلس يفترس الأعداء أي فرس
أفدي زيداً بأبي ونفسي وطارفي وتالدي وعرسي
يا قوم جدوا في قتال النجس فإنهم حقاً شرار الإنسِ

وقاتل قتالاً مريراً، حتى قتل رحمه الله تعالى.

٤- أخوه عوف بن سالم العبسي

من فرسان زيد بن علي المشهورين، ذوي النجدة والشجاعة، قاتل رحمه الله حتى قتل.

٥- حباب بن يزيد بن معتب السلمي

وهو الذي كان يرتجز في المعركة ويقول:

إن تنكروني فأنا حبابْ أذود بالسيف عن الأحبابْ
عن عترة التالي للكتابْ نبي صدق طاهر مجابْ
معظم عند الولي الوهابْ خلفتموه يا بني الأوشابْ
خلافة في معشر أيابْ بني بنيه وبني الأصحابْ
في أهله خلافة الذئابْ فأبشروا بالخزي والعقابْ

واستشهد حباب رحمة الله عليه مع الإمام زيد عليه السلام.

٦- ربيعة بن جديد

وهو الذي قام قبل القتال، وقال للإمام زيد عليه السلام: (والله يا أبا الحسين لأقاتلن معك عدوك، فإن عدوك عدونا، ونحن والله أشد عليه حنقاً وعداوة لما ارتكبوا من دمائكم، ومنعوا من حقوقكم، واستأثروا بالأمر دونكم، فنحن لهم مفارقون، ولأعمالهم مبغضون؛ فانهض بنا إليهم إذا شئت، وعلى الله فليتوكل المتوكلون)، ثم شد عليهم وهو يرتجز ويقول:

والله لا أرجع حتى أعذرا أو أقتل المرء اللئيم الكافرا
ما كنت يا ابن الطاهرين أغدرا أو أسقي الصعدة مني أحمرا
من شيعة الكفار أرجو الظفرا وأنصر المتوج المطهرا
ابن رسول الله ذاك الأزهرا أفضل من هلَّلَ ربي الأكبرا

حتى أموت دونه وأقبرا

وقتل رحمة الله عليه في جبانة سالم، فإن الإمام زيداً عليه السلام، لما أقبل هو وأصحابه من جبانة سالم، استقبلهم عبد الله بن العباس والريان بن سلمة الأراسي، فاقتتلوا في جبانة سالم قتالاً شديداً، فقُتل من أصحاب الإمام زيد عليه السلام: بشر بن كثير، الوليد بن يعلى، وربيعة بن جديد.

٧- سلام بن المنير

وهو الذي ضاربهم عند دار عمر بن سعد، وهو يقول:

أضربهم بالصارم الخذَّامِ ضرب غلام أيما غلامِ
ضرب غلام ماجد قمقام متوج بالجود والوسام
أشد شد الباسل الضرغام على علوج نُذَّل طُغام
من أهل كوفان وأهل الشام دون التقي السيد الهمام
زيد الحجا والبر والإقدام ابن رسول جاء إلى الأنام
بالصدق من عند أولي الإنعام لم يحفظوا إلاً ولا ذمام

٨- أبو السوداء النهدي

وكان يكتب بين يدي زيد عليه السلام، وهو الذي يقول:

إني لمن نهد لفي الذوائب أفدي زيداً بأبي وصاحبي
وكل ما أملك من مكاسب من حاضر أملكه وغائب

أضـــربهم بـــذي غـــرار قاضـــب ضـــرب هزبـــر ضـــيغم مواثـــب
أرجـــوا بـــه الحـــور مـــع الكواعـــب مـــن حـــور عـــين لـــذة ثوائـــب
نعـــم ورضـــوان العزيـــز الواهـــب مـــن عنـــد رب ذي عـــلاء غالـــب
كـــل عتـــيٍّ كـــافر محـــارب لآل ذي الحـــق المبـــين الواجـــب

وقاتل حتى قتل رحمة الله عليه.

٩- عمرو بن صالح الأشجعي

أنـــا الغـــلام مـــن ذرى غـــيلان ذو ســـطوات لســـت بالهـــدان
ولا برعديـــــد ولا بـــــواني نفسـي فـدا زيـدٍ أخـي الإحسـان
أفديـــه مـــن نوائـــب الزمـــان أيـــده منـــزل القـــرآن
علـــى علـــوج وبنـــي عبـــدان قـــد كفـــروا بـــالله والفرقـــان
واختلقـــوا إفكـــاً مـــع البهتـــان أنصـــار جبـــار أخـــي عـــدوان
يـــا رب فاشـــف قلـــب ذي الإيمـــان ابـــن نبـــي جـــاء بالبيـــان
مـــن عنـــد رب قـــاهر منـــان أفديـــه بـــالعين وبالبنـــان
ووالـــدي والطفلـــة الصـــبيان والله لا أثنـــي لكـــم عنـــاني
مـــا ابتـــل مـــن ريـــق اللُّهَـــى لســـاني فأبشـــروا بـــالخزي والهـــوان
يا شيعة الكافر والشيطان

وقاتل حتى قتل رحمة الله عليه.

١٠- عبد الله بن ميمون البجلي

إني امروء من صالحي بجيله ... من عترة ماجدة نبيله
قبيلتي أكرم بها قبيله ... أنصر خير الناس ذا فضيله
من وجهه يضيء كالوذيله ... ليس بذي نفس له ذليله
ابن رسول جاء بالفضيله ... جاء بخير خطة جميله
أنقذنا من حفرة وبيله ... يا ويل للجاحد عن سبيله

١١- عامر بن ربيع العذري

وهو الذي قام إلى زيد بن علي عليه السلام، وقال له: يا أبا الحسين، أرأيت إن كنا على الحق ألست أعظمنا أجراً؟ قال: بلى.

قال: أرأيت إن كنا على الباطل ألست أثقلنا ظهراً؟ قال: بلى، والله الذي لا إله إلا هو، يا أخا غدرة، قاتل فإنا والله لعلى أهدى الهدى، وإنهم لعلى أبطل الباطل، ثم سل سيفه وهو يقول:

نضرب عن زيد بكل صارم ... ذي رونق يفري شئون الظالم
لست لكم ما كنت بالمسالم ... يا نصرة الكافر ذي المئآثم
وجند عاة ذي شفاة غاشم ... قد استحل قتل كل واجم
وكل من خالف أهل العالم ... أهل علي الحبر ذي المكارم
وذي التقى والبر والمقاوم ... أول من صلى لرب راحم

بعد النبي خير هذا العالم

ثم ضرب بسيفه وقاتل حتى قتل، رحمة الله عليه.

١٢- أبو فروة الصقيل

وهو الذي طبع لأصحاب زيد بن علي عليه السلام سيوفاً يقال لها الفروية، فصارت لم يُضرب بها شيء إلا هتكته، لم ير مثلها، سميت الزيدية.

وعن جعفر الصادق عليه السلام أنه لما جاءه خبر قتل أبي فروة الصقيل بين يدي زيد بن علي، تلا هذه الآية: **{وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ}** [النساء/١٠٠]، رحم الله أبا فروة.

١٣- ربيعة بن سمير الكلابي

وهو الذي برز للشامي الذي أقبل على زيد وأصحابه على فرس رائع كريم، وهو يسب الإمام زيد وأصحابه، ويقول:

يـــا معشـــر الأوغـــاد والطغـــام يـــا شـــيعة الأنـــذال والأقـــدام

أنتـم لئـام وبنـو لئـام

فبرز إليه ربيعة بن سمير الكلابي وهو يقول:

اصـبر لحـاك الله يـا ابـن الكلـبِ للطعـن مـن فرسـاننا والضـربِ

أبشـــر بخـــزي عاجـــل وســـبٍّ بعـــد عـــذاب لـــك عنـــد الـــربِ

وقاتل قتالاً شديداً حتى قتل رحمه الله تعالى.

١٤- القاسم بن كثير الحضرمي

كان أحد الذين ينادون بشعار زيد عليه السلام حين خرج، فارتُثّ وجُرِح، وحمل إلى يوسف بن عمر، وقيل: إلى الحكم بن الصلت، فكلمه، فلم يرد عليه، فأمر به فضربت عنقه صبراً، فرثته أخته، وقيل: ابنته، بشعر:

عـــين جـــودي لقاســـم بـــن كثيـــر بِـــدَرور مـــن الـــدموع غزيـــر

أدركـــته سيـــوف قـــوم لئـــام مـــن أولـــي الشـــرك والـــردى والثبـــور

ســـوف أبكـــيك مـــا تـــغنى حمـــام فـــوق غصـــن مـــن الغـــصون نضـــير

وممن قتل مع الإمام زيد عليه السلام من الأبطال وأهل البصائر:

زياد بن درهم النهدي، الذي صلب مع الإمام زيد عليه السلام.

ومنهم: سلام الجعفي، روي أنه قال لأبي جعفر الباقر: فداك أبي إني رجل أحبكم أهل البيت، فقال له الباقر: رحمك الله.

فقال له: ادع الله لي، فرفع الباقر يديه حيال الكعبة ثم قال: (اللهم أحيه محيانا، وأمته مماتنا، وأسلك به سبيلنا)، فاستشهد سلام مع الإمام زيد عليه السلام.

ومنهم: شهاب بن عبد الله البارقي، وشهاب بن بارق البارقي، وعبد الله بن أبي عثمان البارقي، وحسان بن قائد البارقي، وحسان بن أبي

حسان البارقي الخياط، ورجاء بن هند البارقي، وعبد العزيز بن أبي عثمان البارقي، وعبد الله بن أبي عثمان البارقي.

ومنهم: بنو حمزة الثمالي: حمزة ومنصور وسالم ونوح.

ومنهم: ثلاثة إخوة قتلوا هم: علي ومحمد وبشر.

ومنهم: ثلاثة أخوة أيضاً: محمد وعوف وبشر.

ومنهم: عبد الرحمن بن أبي السوداء النهدي، وعبد الله بن عثمان النهدي، وزياد بن مسلم النهدي، ودرهم النهدي.

ومنهم: علي بن سوار المرهبي، ورجاء بن سوار المرهبي.

ومنهم: أبو عبيدة عباد الأحول الهمداني، ومحمد بن أبي النعمان الصائدي الهمداني.

ومنهم: سلام الجعفي، والحر بن إياس الجعفي.

ومنهم: عمرو بن الزبرقان الأسدي، ويحيى بن الزبرقان الأسدي.

ومنهم: محمد بن الحجاج البجلي.

ومنهم: عبد الله بن سليمان الحضرمي.

ومنهم: أبو حازم، وابنه حازم الزبيري.

ومنهم: حجاج وأبو حجاج.

ومنهم: بشر الجواربي، وحكيم الأزدي، ورجاء بن نافع.

ومنهم: محرز بن جبلة الأشجعي، ومسافر بن حبيب العامري، وقاسم بن عبد الرحمن الصهباني، وفرات بن الحصين السلولي، وعثمان بن عائشة، وعتبة أبو الخياط، ونوح بن منصور.

ومنهم: عيسى بن عتبة أخذ وبه جراح فضربت عنقه صبراً.

ومنهم: يحيى بن أبي حفص أخذ وبه رمق وضربت عنقه صبراً.

ومنهم: أبو أيوب الأقطع سليمان بن خالد بن دهقان البجلي الهلالي، خرج مع الإمام زيد وجاهد بين يديه وقطعت يده في المعركة ومات بعدها بمدة.

ومنهم: أبو عباد الأحول، وأبو أحيحة الأنصاري، وأبو فرقة رجل من الموالي.

ومنهم: شاكر بن عبد الله الشاكري.

وممن شهد مع الإمام زيد من أهل البيت علهم السلام وجاهد معه:

ولده الإمام يحيى بن زيد.

وأخوه عبدالله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وجرح في المعركة.

والإمام المهدي لدين الله محمد بن عبد الله النفس الزكية، وجرح معه في المعركة أيضاً.

والعباس بن ربيعة من ولد بني عبد المطلب. ذكر ذلك في المصابيح

لأبي العباس الحسني.

وكان من دعاته عليه السلام على ما ذكره في المصابيح لأبي العباس الحسني:

نصر بن معاوية بن شداد العبسي، وأبو معمر سعيد بن خثيم العامري، وعبد الله بن الزبير الأسدي، ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري.

وزاد أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: هارون بن سعد العجلي الكوفي أبو محمد الأعور.

مقتل الإمام زيد عليه السلام

فلما جن الليل من ليلة الجمعة، كان قد كثر الجراح في أصحاب الإمام، واستبان فيهم الفشل، وذلك أن يوسف بن عمر عقد لواء الأمان لمن تخلف أو تأخر عن نصرة الإمام، حتى خذله الكثير، وجعل زيد عليه السلام يدعو، وقال: (اللهم إن هؤلاء يقاتلون عدوك، وعدو رسولك ودينك الذي ارتضيته لعبادك، فاجزهم أفضل ما جزيت أحداً من عبادك المؤمنين).

ثم قال: (أحيوا هذه الليلة بقراءة القرآن والدعاء والتهجد والتضرع إلى الله، وأنا أعلم والله إنه ما أمسى على وجه الأرض عصابة أنصح لله ولرسوله وللإسلام منكم).

فلما كان يوم الجمعة تقاتلوا قتالاً شديداً كأشد ما يكون، وجعلت جنودهم لا تثبت لجنود الإمام بل تنهزم وتفر، فخشي يوسف بن عمر من الهزيمة فأعمل الحيل في قتل الإمام وأصحابه وهزيمتهم، فأرسل إلى النشابة وهم قوم رماة فجعلوا يرمون الإمام وأصحابه بالسهام والنبال حتى أرهقوهم، وجعل يأخذ الأسرى ويقطع رؤوسهم ويحرقهم، لغرض الإرعاب والإرهاب، وقام بصلب بعض من قتل كنصر بن خزيمة، وجعل مناديه ينادي: ألا من جاء برأس زيد بن علي فله ألف درهم، ومن جاء بأسير فله مثل ذلك، قال: وكان يوسف بن عمر لا يأتى بأسير إلا ضرب عنقه، وأحرقه بالنيران.

فقتل معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة، وهو صاحب منزل الإمام زيد، وقتل أيضاً زياد بن عبد الله الفهري من فرسانه، وجماعة من فرسان

وأصحاب زيد بن علي عليهما السلام، فحملت رؤوسهم إلى يوسف بن عمر.

والإمام يقاتل في ناحية وولده يحيى في ناحية أخرى، وأصيب الإمام بثلاثة عشر نشابة، حتى إذا كان عند غروب الشمس رُمي الإمام زيد بسهم فأصاب جبهته اليسرى، فنزا السهم في الدماغ، فقال: (الشهادة في الله، والحمد لله الذي رزقنيها).

فحمله أصحابه إلى دور أرحب وشاكر،ولا يظن أهل الشام أنهم رجعوا إلا للمساء والليل.

قال: ثم قال عليه السلام: (ادعوا لي ابني يحيى) فدعوه فلما دخل جمع قميصه في كفه، وجعل يمسح ذلك الكرب عن وجه أبيه، وقال: (أبشر يا ابن رسول الله تقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي والحسن والحسين وخديجة وفاطمة عليهم السلام، وهم عنك راضون).

قال: (صدقت يا بني فما في نفسك ؟ قال أن أجاهد القوم، والله إلا أن لا أجد أحداً يعينني) قال: (نعم يا بني جاهدهم فوالله إنك لعلى الحق، وإنهم لعلى الباطل، وإن قتلاك في الجنة، وقتلاهم في النار).

وجيء بطبيب فنزع النصل، فمات من ساعته صلوات الله عليه، ودفن في مجرى ماء وأجري عليه الماء.

فصلوات الله وسلامه عليه يوم ولد ويوم قام ويوم استشهد ويوم نبش ويوم صلب ويوم أحرق ويوم يبعث حياً، وحشرنا معه ومع آبائه، آمين.

همجية الطغيان الأموي بعد المعركة

لقد كشف الحكم الأموي النقاب عن مدى البغض والعداوة التي يكنونها لأهل البيت وأشياعهم، أحياء وأمواتاً، ذكوراً وإناثاً، فقد قاموا بأعمال إجرامية، وأفعال وحشية، تقشعر لها الأبدان، وتبين الأحقاد الجاهلية، ونلخصها فيما يلي:

النبش والصلب

لما توفي الإمام عليه السلام اختلف أصحابه في دفنه:

قال بعضهم: نحتز رأسه، ونطرحه بين القتلى فلا يعرف.

فقال ابنه يحيى: والله لا أجعل جسد أبي طعاماً للكلاب.

وقال بعضهم: ندفنه بالعباسية.

فأشار بعضهم: أن ينطلقوا به إلى موضع قد احتفر فيدفنوه فيه، ويجروا عليه الماء، فأخذوا برأيه، فانطلقوا ودفنوه، وأجروا عليه الماء، وكان معهم غلام سندي، فلما أصبح من الغد وكان يوم السبت، نادى منادي يوسف بن عمر: من دلَّ على قبر زيد بن علي كان له من المال كذا وكذا، فذهب الغلام إلى الحكم بن الصلت فدلهم عليه، فبعث إلى ذلك الموضع فاستخرجوه عليه السلام من قبره، واحتزوا رأسه، وصلبوه بالكناسة.

ووكل يوسف بخشبة زيد أربع مائة رجل يحرسونها، ينوب في كل ليلة مائة رجل، وبنى حول جذعه بناء كالدكة من آجر، وكان زهير بن معاوية ممن يحرسه.

وبقي الإمام زيد عليه السلام مصلوباً إلى زمن الوليد بن يزيد، فيكون قد بقي ما يقرب من أربع سنوات؛ لأن الوليد بن يزيد ولي الأمر سنة (١٢٥)هـ، وزيد قتل سنة (١٢٢)هـ، وقيل: إن الذي أحرقه هو هشام بن عبد الملك الأموي.

فلما مات هشام، وولي الوليد بن يزيد، وفد إليه يوسف، فلما رجع من عنده إلى الكوفة، أمره بإحراق زيد بن علي عليه السلام، لما ظهر ابنه يحيى بن زيد بخراسان، وكتب الوليد إلى عامله بالكوفة: أن أحرق زيداً بخشبته، فجمع الحطب والقصب، وجاء الغوغاء من ذلك بشيء كثير، فأعطاهم دراهم كثيرة، ففعل به ذلك، وأذرى رماده في الرياح على شاطئ الفرات.

وكان الذي ولي إحراق زيد عليه السلام بأمر الوليد هو: خراش بن حوشب، وهو الذي جمع الناس للحضور، وجمع الحطب؛ ثم أُنزل زيد عليه السلام من خشبته؛ وألقي في النار حتى أحرقوه، حتى روي أن الناس إنما كانوا ينظرون من بعيد لشدة النار.

فلما أحرقوه جاءوا بالهنوطاب وضرب بها حتى صار رماداً سحيقاً، ثم قسم قسمين، فقسم ذري في البحر، وقسم بعثوا به في مناديل إلى وجوه الناس، ودفع إلى كل رجل قبضة يذريها حتى أفنوه.

فإنا لله وإنا إليه راجعون من هذه الفعلة الشنعاء، التي تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، ولعن الله هشاماً ومن أعانه على قتل زيد أو نبشه أو صلبه أو إحراقه.

أفعال بني أمية برأس الإمام زيد

ولما قتل الإمام زيد عليه السلام ونبشوه واحتزوا رأسه بعثوا برأسه أولاً إلى هشام بن عبد الملك بالشام، فأمر أن يطاف به في المساجد والمجامع والأسواق، وأن يقوم الخطباء بشتمه وسبه، وسب آبائه عليهم السلام، وبقي مدة بالشام.

ثم أمر بإرساله إلى المدينة المنورة، فلما وصل الرأس الشريف ضجت المدينة بالبكاء من دور بني هاشم، كيوم الحسين عليه السلام، ووقعت أحوال صعبة، ووقائع شديدة، نذكر منها ما يلي:

منها: ما روي أن كثير عزة الشاعر المشهور – وكان كثير الميل إلى بني هاشم – لما نظر إلى رأس زيد بن علي عليهما السلام بكى، وقال: نضر الله وجهك أبا الحسين، ولعن قاتليك وأخزاهم، فبلغ ذلك إبراهيم بن هشام المخزومي وكان والي المدينة، ، فقال له إبراهيم: بلغني عنك كذا وكذا، فقال: هو ما بلغك، فحبسه، وكتب إلى هشام فقال وهو محبوس:

إن امـــــرءاً كانـــــت مســـــاويَهُ حـــب النبـــي لغيـــر ذي ذنـــب
وكـــذا بنـــي حســـن فوالـــدهم مـــن طـاب فـي الأرحـام والصـلب
ويـــــرون ذنبـــــاً أن أحـــــبكم بـــل حـــبكم كفـــارة الـــذنب

فكتب فيه إبراهيم إلى هشام بن عبد الملك، فكتب إليه هشام: أن أقمه على المنبر حتى يلعن علياً وزيداً، فإن فعل وإلا فاضربه مائة سوط على مائة، فأمره أن يلعن علياً فصعد المنبر فقال:

لعن الله من يسب علياً وبنيه من سوقة وإمام
تأمن الطير والحمام ولا يأمن آل النبي عند المقام
طبت بيتا وطاب أهلك أهلاً أهل بيت النبي والإسلام
مرحباً بالمطيبين من الناس وأهل الإحلال والإحرام
رحمة الله والسلام عليكم كلما قام قائم بسلام

ومن ذلك: ما رواه الإمام المرشد بالله أيضا بسنده عن مخول بن إبراهيم، قال: حدثنا عيسى بن سواده، قال: (كنت بالمدينة عند القبر عند رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد جيء برأس زيد بن علي عليهما السلام في رهط من أصحابه، فنصب في مؤخرة المسجد على الرمح، ونودي في أهل المدينة: برئت الذمة من رجل بلغ الحلم لم يحضر المسجد، فحُشر الناس الغرباء وغيرهم، فمكثنا سبعة أيام يخرج الوالي محمد بن هشام المخزومي فيقوم الخطباء الذين جاءوا بالرأس فيخطبون فيلعنون علياً والحسين وزيداً وأشياعهم.

فإذا فرغ قام القبائل عربيهم وعجميهم، وكان بنو عثمان أول من قام فلعنوا، ثم بطون قريش والأنصار وسائر الناس، حتى إذا صلى الظهر انصرف ثم عاد من الغد مثلها سبعة أيام.

فقام رجل من قريش في بعض تلك الأيام، وهو محمد بن صفوان الجمحي، وهو أبو هدى القاضي قاضي أبي جعفر، فقال له محمد بن هشام: اقعد، ثم عاد فقام من غير أن يدعى، فقال له هشام: اقعد، فقال:

إن هذا مقام لا نقدر عليه كل ساعة، قال: فتكلم فأخذ في خطبته، ثم تناول يلعن علياً وأهل بيته، والحسين بن علي، وزيد بن علي عليهم السلام جميعاً ومن كان يحبهم.

فبينا هو كذلك إذ وضع يده على رأسه، ووقع على الأرض، فظننت أن خطبته قد انقطعت، فلم أعلم حتى إذا كان من الليل انتشر خبره، فرماه الله عز وجل في رأسه بصداع لا يتمالك من الصداع حتى ذهب بصره في تلك الساعة.

وكان رجل مستند إلى القبر فضرب بيده إلي فزعاً، قال: ما رأيت؛ اشتق القبر فخرج منه رجل عليه ثياب بيض فاستقبل المنبر، وقال: كذبت لعنك الله).

ومن ذلك: ما رواه الإمام المرشد بالله (ع) أيضاً بسنده عن الربيع بن حبيب، قال: لما أصيب زيد بن علي عليهما السلام خرجت إلى المدينة أنا وأبي، وجيء برأس زيد بن علي عليهما السلام فجعلت قريش يصعدون المنبر يشتمون ويبرؤون، فجاء شيخ فقال: أما من تبرأ منه وشتمه طلب دنيا؛ فإني لست أطلب دنيا، فأقبل في شتمه والبراءة منه، قال: فبينا نحن كذلك إذ قال: ما هذه الظلمة التي قد غشيتنا، قال: فما خرج من المسجد إلا أعمى يقاد).

موضع الرأس الشريف

ثم بعث به إلى مصر، فطيف به فيها، ثم نصب على المنبر بالجامع بمصر سنة (١٢٢)هـ، فسرقه أهل مصر، ودفنوه في موضع، وبنو عليه مسجداً، إلى أن ظهر في سنة (٥٢٥)هـ في زمن الأفضل بن أمير الجيوش؛ الذي روي أنه لما بلغته حكاية رأس زيد بن علي عليه السلام أمر بكشف المسجد، وكان وسط الأكوام، ولم يبق من معالمه إلا محراب، فوجد فيه الرأس الشريف، ذكر ذلك أحمد بن علي المقريزي الشافعي، في الجزء الثالث من كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، وقال في الكتاب المذكور: (قال محمد بن الصيرفي: حدثني الشريف فخر الدين أبو الفتوح ناصر الزيدي خطيب مصر وكان من جملة من حضر الكشف، قال: فلما خرج هذا العضو رأيته وهو هامة وافرة، وفي الجبهة أثر في سعة الدرهم، فضمخ وعطر، وحمل إلى دار حتى عمر هذا المشهد -أي مشهد زين العابدين- وكان وجدانه يوم الأحد تاسع وعشرين شهر ربيع الأول سنة (٥٢٥هـ)). وقال أيضاً: (وهذا المشهد يتبرك الناس بزيارته، ويقصدونه، لا سيما في يوم عاشوراء، والعامة يسمونه زين العابدين، وهو وهم، وإنما زين العابدين أبوه، وليس قبره بمصر بل قبره بالبقيع)، والناس في هذا الزمان يطلقون عليه اسم: (مسجد رأس الإمام الحسين عليه السلام)، وهو وهم أيضاً، لأن رأس الحسين عليه السلام قبر بالبقيع.

أفعالهم بمن له علاقة بالإمام زيد

وبعد قتل الإمام وأصحابه، لم ينته الظلم والعدوان بل أقام يوسف بن عمر مراسيم الاحتفال بالظفر المهزوم، والانتصار المشؤوم، فجمع أهل الكوفة في المسجد، وصعد على المنبر فشتم أهل الكوفة، وقال: يا أهل المدرة الخبيثة، والله ما يقعقع لي بالشنئان، ولا تقرن بي الصعبة، لقد هممت أخرب بلدكم وأحربكم بأموالكم، والله ما أطلت منبري إلا لأسمعكم عليه ما تكرهون، فإنكم أهل بغي وخلاف، ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم، ولو فعل لقتلت مقاتلتكم، ولسبيت ذريتكم)، إلى آخرها.

ثم وجه بالأوامر إلى الانتقام والاستئصال من كل من تربطه بالإمام زيد أدنى رابطة أو علاقة، ففعل أفعالاً لا تجوزها الشريعة الإسلامية، ولا يسوغها من له أدنى مشاعر إنسانية، ولا يجرؤ عليها إلا كافر بالرسالة المحمدية، ومنكر للمعاد والجزاء في الدار الأخروية، وتبين تلك الجرائم أن بني أمية وأشياعهم ليسوا من الإسلام في شيء، وأنهم قد هدموا الإسلام من أساسه، وأنحازوا إلى دين الجاهلية، ولولا ذلك لم يفعلوا ما فعلوا.

فقد بعث يوسف بن عمر إلى أم امرأة للإمام زيد من الأزد، فهدم دارها، وحملت إليه، فقال لها: أزوجتِ زيداً ؟ قالت: نعم وهو سامع مطيع، ولو خطب إليك إذ كان كذلك لزوجته، فقال: شقوا عليها ثيابها، فشقوا عليها ثيابها، فجلدها بالسياط، وهي تشتمه، وتقول: ما أنت بعربي، أتُعرِّبني

وتضربني؟ لعنك الله، فماتت تحت السياط، ثم أمر بها فألقيت في العرى، فسرقها قومها ودفنوها في مقابرهم.

وأخذ امرأة قَوّت زيداً على أمره ببعض المال، فأمر بها أن تقطع يدها ورجلها، فقالت: اقطعوا رجلي أولاً، حتى أجمع عليَّ ثيابي فقطعت يدها ورجلها، ولم تحسم حتى ماتت، وأمر بضرب عنق زوجها.

وضرب امرأة أشارت على أمها أن تؤوي ابنة زيد خمس مائة سوط، وهدم دوراً كثيرةً، وأتي إلى يوسف لعنه الله بعبد الله بن يعقوب السلمي رحمه الله، وكان زَوَّجَ ابنته من يحيى بن زيد، فقال له يوسف: ائتني بابنتك، قال: وما تصنع بها جارية عاتق في البيت؟ قال: أقسم لتأتيني بها أو لأضربن عنقك، فأبى أن يأتيه بابنته، فضرب عنقه، وأمر العريف أن يأتيه بابنة عبد الله بن يعقوب فأبى، فأمر به فدقت يده ورجله، وأمر بأم ولده فقطع ثدياها حتى ماتت رحمها الله.

ولكن كادت الدنيا أن تكون دار جزاء فسرعان ما انتقم الله تعالى من قتلة الإمام زيد وأصحابه، كما انتقم من قتلة الحسين وأصحابه، فلما قامت الدولة العباسية تتبعوا قتلة الإمام زيد، فقتلوا يوسف بن عمر، وأخذوا أم ولده فقتلوها، وأخرجوا هشام من قبره فصلبوه وأحرقوه، وأخذوا خراشاً وشهاباً ابني حوشب اللذين أنزلا زيداً وأحرقاه، فشقوا بطنيهما وطرحوا فيهما الكلاب، وهما حيان، تنهشهما حتى ماتا، فسبحان المنتقم الجبار، من كل ظالم جبار.

بعض كرامات الإمام زيد عليه السلام

وقد أكرم الله عز وجل الإمام زيد عليه السلام بكرامات كثيرة حال قتله وصلبه وإحراقه، تبين عظيم منزلته.

فمن كراماته عليه السلام بعد قتله:

من ذلك: ما رواه الإمام المرشد بالله بسنده عن أبي داود الجفري، قال: (لما قتل زيد بن علي عليهما السلام جاء طائران أبيضان فسقط واحد على هذا القصر، وواحد على هذا القصر، وقال أحدهما للآخر: تنعى زيد أو أنعاه، قاتل زيد لا نجاه، فأجابه الآخر: يا ويحه باع آخرته بدنياه).

ومن ذلك: ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: أن رأس زيد بن علي عليه السلام وجه به يوسف بن عمر مع زهرة بن سليم، فلما كان بمضيعة ابن أم الحكم ضربه الفالج.

وأما كراماته عليه السلام حال صلبه:

فمن ذلك: ما رواه الإمام المرشد بالله أيضاً بسنده عن امرأة من بني سلامة يقال لها فاطمة، قالت: (مررت فإذا زيد عليه السلام مصلوب عريان مكشوف العورة، فقلت: سبحان الله أيفعل هذا بابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحللت خماري عن رأسي ثم لففته فرميت به على عورته، فاستدار حتى انعقد على عورته في وسطه، وهم ينظرون، فصعدوا فحلوه، فاسترخت سرته حتى غطت عورته).

ومن ذلك أيضاً: ما رواه بإسناده عن أبي الصبح سعيد بن ميمون: (أنه رأى زيد بن علي عليه السلام مصلوباً لم يتبقر بطنه، ولا تمعطت لحيته ولا رأسه، ولا حالت رائحته).

ومن ذلك: ما رواه أيضاً بسنده عن الحسن بن معاوية بن وهب البجلي، قال: حدثني غير واحد لا أحصي من سمعت منه هذا الحديث: (يزعم أن زيداً عليه السلام كان يوجه بوجهه ناحية الفرات، فيصبح وقد جاءت خشبته ناحية القبلة مراراً، وعلت العنكبوت حتى نسجت على عورته، وقد كانوا صلبوه عرياناً).

ومن ذلك: ما رواه أيضاً بسنده عن سعيد بن خثيم الهلالي، قال: حدثني شبيب بن عرقدة، قال: (قدمنا حجاجاً من مكة فدخلنا الكنائس ليلاً، فلما أن كنا بالقرب من خشبة زيد بن علي عليهما السلام أضاء الليل فلم نزل نسير قريباً من خشبته فنفحت رائحة المسك، فقلت لصاحبي: هكذا توجد رائحة المصلوبين، قال: فهتف بي هاتف وهو يقول: هكذا توجد رائحة أولاد النبيين، الذين يقضون بالحق وبه يعدلون).

ومن ذلك: ما رواه أيضاً بإسناده عن جعفر بن محمد الفزاري، قال: حدثنا جمهور، قال: (رأيت رجلين مقبلين من بني ضبة كل واحد يده في يد صاحبه، حتى جاءا إلى خشبة زيد بن علي عليهما السلام فضرب أحدهما بيده على الخشبة وهو يقول: **{إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ**

وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ}[المائدة:٣٣]، قال: فذهب لينحي يده فانتشرت بالآكلة، ووقع شقه، فمات إلى النار).

ومن ذلك: ما رواه بإسناده عن جرير بن مغيرة، قال: (نظر رجل إلى زيد بن علي عليه السلام فأشار إليه بإصبعه أو بيده، وقال: هذا الفاسق بن الفاسق، قال: فرجعت إصبعه في كفه).

ومن ذلك: ما رواه بإسناده عن الزبير بن عدي اليامي، قال: (كنت عند خشبة زيد بن علي عليهما السلام قائماً إذ جاءت امرأة، فقالت كذا بإصبعها على الخشبة – يعني طغست بأصبعها على الخشبة–) وذكر الحديث المتقدم.

ومن ذلك: ما رواه أيضا بإسناده عن قاضي نهاوند وهب بن إبراهيم، قال: خرجت إلى مكة فلما كنت في المسجد الحرام إذا رجل والناس مجتمعون عليه يحدثهم، فدنوت منه فإذا هو يحدثهم، قال:

(إني كنت فيمن يحرس خشبة زيد بن علي عليهما السلام، قال: فلما كان ليلة نوبتي إني لقاعد بعد العتمة بحذاء الخشبة إذ رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقبلاً ومعه سراج أو قنديل، حتى وقف قدام خشبة زيد بن علي عليهما السلام، فقال له: يا زيد، فقال: لبيك يا رسول الله، قال: اهبط بإذن الله، فنظرت إلى الشرط وهي تحلل عنه، قال: قتلت مظلوماً، قال: نعم يا رسول الله، قال: شهيد في شهداء كثير، أسقيك، فقال: نعم يا رسول الله، قال: فأعطاه إناء فأخذه وشرب، فقال له: رويت، فقال: نعم يا رسول الله. قال: فقال له: ارجع بإذن الله، قال:

فنظرت إليه حتى رجع إلى الخشبة ورأيت الشرط ترجع عليه.

قال: ثم التفت إلى معاوية بن إسحاق الأنصاري، فقال له: معاوية، قال: لبيك يارسول الله، قال: اهبط بإذن الله، قال: فنظرت إليه والشرط تحلل عنه حتى نزل فوقف بين يديه، فقال له: معاوية، قال: لبيك يا رسول الله، قال: قتلت فينا، قال: نعم يا رسول الله، قال: فقال: شهيد في شهداء كثير، قال: أسقيك، قال: نعم يارسول الله، قال: فأعطاه الإناء فشرب، قال: فقال: رويت، قال: نعم يا رسول الله، قال: فعد بإذن الله، قال: فنظرت إليه حتى عاد وعادت الشرط عليه كما كانت.

قال: ثم التفت إلى نصر بن خزيمة العبسي، فقال له: نصر، قال: لبيك يا رسول الله، قال: فقال له: اهبط بإذن الله عز وجل، قال: فنظرت إلى الشرط تحلل عنه حتى نزل، فوقف بين يديه، فقال: نصر: قال: لبيك يا رسول الله، قال: قتلت فينا؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: فأعطاه الإناء فشرب، قال: فقال له: رويت؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: عد بإذن الله، قال: فنظرت حتى عاد إلى الخشبة، ورجعت الشرط عليه كما كانت.

قال: فقلت: اسقني يا رسول الله، قال: فقال: اخسأ، شرابك وشراب أصحابك الحميم، قال: فقمت فأعطيت الله عهداً أن لا آخذ لبني أمية ديواناً حتى أموت، وأن أسكن هذا الحرم حتى أموت غفر لي أو عذبني).

ومن ذلك أيضاً: ما رواه بإسناده عن سعيد بن خثيم، قال: حدثني محمد بن النصر الملائي، وكان من خيار الناس، قال: حدثني مولى لبني والبة من

جند بني أمية، قال: كنت فيمن يحرس خشبة زيد بن علي عليهما السلام – وكانوا قد بنوا له إسطوانة من جص وأجرَّاء حتى بلغت رجليه–، وكان رجلاً جميلاً جسيماً، فإني لأنظر إليه إذ غلبتني عيني، وما أنا بالنائم المستقل إذ نظرت إلى رجال كأن وجوههم الأقمار تلمع من ثيابهم الأبصار.

قال: فقال رجل منهم: السلام عليك يا زيد، قال: وعليك السلام يا رسول الله، قال: يا زيد قد قُتلتَ وصُلبتَ، قال: لتكون كلمة الله هي العليا، قال: صدقت يا زيد، أجائع أنت فأطعمك أو ظمآن فأسقيك؟ قال: كلاهما يا رسول الله.

فرأيت رسول الله قد مد يده إليه وفي يده شبه الأترجة يلقمه، ثم رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي يده كأس قد بان بها كفه صلى الله عليه وآله وسلم حتى سقاه.

ثم قال له رجل آخر عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فيم قتلت وصلبت؟ قال: لتكون كلمة الله هي العليا. قال: صدقت يا زيد؛ أبشر؛ فإنك لو تعلم ما أخفي لك، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قال: فقمت إلى دابتي، فأسرجتها ثم ركبتها، ثم أتيت أهلي فبعت دابتي، وتركت ديوان بني أمية.

ومن ذلك: ما رواه بإسناده عن يحيى بن النهدي عن مولى آل الزبير عن أبيه، قال: (كان لي صديق من أهل الشام نأتيه ونتحدث عنده، ففقدته ما

شاء الله، ثم لقيته بين الحرة والكوفة، فسلمت عليه، وقلت له: جفوتنا وليس نراك، فقال: إني تركت ديواني مع هؤلاء القوم – يعني بني أمية–.

وذلك أني وقفت على نوبة حرس خشبة زيد بن علي عليهما السلام قال: فمكثنا من الليل ما شاء الله، قال: فكنت بين النائم واليقظان فنظرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقبلاً حتى انتهى إلى خشبة زيد بن علي عليهما السلام، فقال له: زيد، قال: لبيك يا رسول الله، قال: قتلوك وصلبوك؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: فانزل.

قال: فجعل يمسح الغبار عن وجهه، ثم قال: فانتبهت فلم أنم حتى أصبحت، ثم عدت الليلة الثانية، فرأيت مثل ذلك، ثم عدت الليلة الثالثة فرأيت مثل ذلك، فأعطيت الله عهداً أن لا أدخل معهم في شيء واعتزلتهم.

ومن ذلك: ما رواه بإسناده عن جرير بن حازم، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستنداً إلى خشبة زيد بن علي عليهما السلام وهو يقول: هكذا تصنعون بولدي)، وهو في مقاتل الطالبيين، عن جرير بن حازم بلفظ، وهو يقول للناس: ((أهكذا تفعلون بولدي)).

وقد كان الشيعة يأتون إلى خشبة زيد عليه السلام فيصلون عندها ويدعون.

انتقام اللّه من هشام بن عبد الملك ويوسف بن عمر

وقد انتقم الله تعالى ممن قتل زيداً شر انتقام:

أما هشام بن عبد الملك: فروى المرشد بالله بسنده عن عبيدالله بن الحسين -يعني ابن علي بن الحسين- قال: سمعت أبي يقول: اللهم إن هشاماً رضي بصلب زيد فاسلبه ملكه، وإن يوسف أحرق زيداً فسلط عليه من لا يرحمه، اللهم احرق هشاماً في حياته إن شئت، وإلا فأحرقه بعد موته.

قال عبدالله: فرأيت هشاماً محرقاً، ويوسف بدمشق مقطعاً على كل باب من دمشق منه عضواً، فقلت: يا أبتاه، وافقت ليلة القدر.

قال: لا، بل صمت ثلاثة أيامٍ من رجب، وثلاثة أيام من شعبان ورمضان، أصوم الأربعاء والخميس والجمعة يعني من كل شهر ثم ادعوا اللّه عليهما من صلاة العصر يوم الجمعة حتى أصلي المغرب.

وذلك أن السفاح أول ملوك الدولة العباسية تتبع قتلة الإمام زيد عليه السلام، وأمر بنبش قبر هشام، فوجدوه على حاله لم يتغير، لأنه كان قد طلي بالعنبر كي لا يتغير، فأقاموه وجلدوه حتى تناثر لحمه، وحرقوه بالنار، وفعلوا به كما فعل بالإمام زيد عليه السلام.

وأما يوسف بن عمر: فروى في الأمالي أيضاً بسنده عن حمزة بن المغيرة، قال: كنت بدمشق حين قُتِل يوسف بن عمر، فجعل في رجله حبل من

مسد، وجعل الصبيان يجرونه وقد قطع رأسه، وكان قصيراً، فكان المارّة تمر به فتقول: لأي شيء قُتِل هذا الصبي.

وأما خراش بن حوشب الذي أحرق زيداً عليه السلام: فقال في الأمالي أيضاً: أخذ خراش بن حوشب الذي أحرق زيداً عليه السلام، وشهاب بن حوشب الذي نبش زيداً عليه السلام، فأمر أبو العباس أن يضرب كل واحد منهم ألف سوط، وتشق بطونهما وتطرح في أجوافهما الكلاب، وأن يحرقا بالنار، ففعل ذلك بهما.

فانظر كيف انتقم الله منهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم، كادت الدنيا أن تكون دار جزاء، فقد فعل بهؤلاء الجبابرة كما فعلوا بالعترة الطاهرة، بل أشد مما فعلوا بهم، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

وكان هلاك بني أمية وزوال ملكهم بسبب قتل زيد بن علي عليهما السلام، ولله الحمد أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً.

معنى انتساب الزيدية إلى الإمام زيد عليه السلام

الزيدية انتسبت إلى الإمام زيد عليه السلام وتسمت باسمه الشريف، وهو عليه السلام الذي سمى أتباعه بالزيدية، ليكون ذلك فارقاً ومميزاً لهم عن الرافضة وعن غيرهم، لأنه عليه السلام أطلق على من بقي على بيعته واستمر عليها زيدية، وقد طار هذا الاسم في الآفاق، فسرعان ما تناقله المعاصرون للإمام زيد عليه السلام من أهل البيت عليهم السلام، وأطلقوه على شيعة الإمام زيد ومن خرج معه، فأصبح لا يطلق في أيام الإمام زيد وبعد مقتله إلا على أتباعه عليه السلام.

فهو المذهب الحق، والدين الصدق الذي لا يعتريه شك ولا لبس، والأدلة القطعية تدل عليه، وقام مستنداً عليها.

وقد أشير إلى الطائفة المتبعة والمنتسبة للإمام زيد بالبنان، واختصت بالمدائح والأوصاف المصرحة بالنجاة والخلاص لها والرضوان، على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كقوله في الحديث الطويل وفيه: ((ويجيء أصحابه يوم القيامة يتخللون أعناق الناس، بأيديهم أمثال الطوامير، فيقال هؤلاء خلف الخلف، ودعاة الحق إلى رب العالمين))، وفي حديث آخر من رواية أبي ذر وفيه ((وإن شيعة زيد هم فرسان الله في الأرض، وإن فرسان الله في السماء هم الملائكة، وإن الخلق يوم القيامة يحاسبون، وإن شيعة زيد في أرض بيضاء كالفضة أو كلون الفضة، يأكلون ويشربون ويتمتعون، ويقول بعضهم لبعض: امضوا إلى مولاكم أمير المؤمنين، حتى ننظر إليه كيف يسقي شيعته، قال: فيركبون على نجائب من الياقوت والزبرجد، مكللة بالجواهر أزمتها اللؤلؤ

الرطب، رحالها من السندس والإستبرق، قال: فبينما هم يركبون إذ يقول بعضهم لبعض: والله إنّا لنرى أقواماً ما كانوا معنا في المعركة، قال: فيسمع زيد، فيقول: والله لقد شارككم هؤلاء، فيما كنتم من الدنيا كما شارك أقوام أقواماً بعد وقعة صفين، وإنهم لإخوانكم اليوم وشركاؤكم اليوم)).

فهذه البشارات لا تكون لمن يدعي الإتباع بلا برهان، ولا لمن يحسب نفسه من أولئك وليس من فرسان ذلك الميدان، فالإمام زيد عليه السلام يصف أشياعه بأوصاف، ويلقبهم بألقاب ليست لغيرهم، منها:

قوله عليه السلام: (نحن ولاة أمر الله، وخزان علم الله، وورثة وحي الله، وعترة نبي الله، **وشيعتنا رعاة الشمس والقمر، والله لا تقبل التوبة إلا منهم، ولا يخص بالرحمة يوم القيامة سواهم)**، ومعنى رعاة الشمس والقمر: الذين يراقبون الشمس والقمر لأوقات الصلوات والصوم.

ثم يبين الإمام زيد عليه السلام للشيعة صفة الإمام الواجب طاعته واتباعه، حتى لا يختلفوا ولا يتنازعوا فقال عليه السلام: (ولا ينبغي لأحد منا أن يدعوا إلى هذا الأمر حتى تجتمع فيه هذه الخصال: حتى يعلم التنزيل والتأويل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وعلم الحلال والحرام، والسنة الناسخة ما كان قبلها، وما يحدث كيف يرده إلى ما قد كان لمثل ما فيه وله، وحتى يعلم السيرة في أهل البغي، والسيرة في أهل الشرك، ويكون قوياً على جهاد عدو المؤمنين، يدافع عنهم، ويبذل نفسه لهم، لا يُسلِمَهم حَذَر دائرة، ولا يخالف فيهم حكم الله تعالى، فهذه صفة من تجب طاعته من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم).

بعض الأصول والمبادئ التي رسمها الإمام زيد عليه السلام

لقد رسم الإمام زيد عليه السلام طريقاً واضحاً، ومنهجاً مستقيماً، أحيا به ما أماته الظالمون من شرائع الدين، وأشاد به ما هدمه أهل الضلال من أركان اليقين، وجمع به ما فرقه المبطلون من أحوال المسلمين، ففتح للأمة أبواب الجهاد التي كان قد أوصدها الظالمون برهة من الزمان، وأعاد روح الحق والعدل إلى جسد الإسلام الذي كان قد فارقه، وصحح مفاهيم كانت مغلوطة، وخطّأ أعمالاً قد كانت مألوفة، فنعش وعي الأمة، وأيقظ غفلتها، ولكن لم تحصل هذه النتائج المباركة بدون عناء ولا كلفة، بل دفع الإمام عليه السلام في سبيلها أعلى الأثمان، وأرخص من أجلها أغلى وأنفس ما يملكه الإنسان، فقد كان الثمن هو دمه الزكي، ونفسه التقية، ودماء أصحابه الأبرار الأتقياء، في مقابل التلافي لإصلاح المبادئ الدينية قبل تلفها، فقد ضحى الإمام زيد عليه السلام بنفسه ودمه وأصحابه وأهل بيته من أجل دين جده صلى الله عليه وآله وسلم، فنعم الوفاء ونعم الموفي، فلم تكن حركة الإمام زيد ومبادؤه عرضة للخمود والإنتهاء بمقتله، بل كان بمقتله عليه السلام بداية خلودها، ومن دمه الزاكي ذكاء وقودها، فقد سار على دربه أئمة الهدى إمام يتلو إماماً، وثائر بعد ثائر، ولكي يبقى خالداً دائماً، وذكره مستمراً فقد أسس ورسم أصولاً ومبادئ انتسبت إليه بسببها الفرقة المحقة الزيدية، واتخذت من اسمه الشريف لقباً تتميز به عن سائر الفرق والطوائف، فانتسبت إليه لفظاً ومعنى، وسار على تلك المبادئ

والأصول وانتهجها من بعده أئمة أهل البيت عليهم السلام، بعد أن كانت قد عَفَى الزمان أثرها، ومحى ظلمُ وتغلبُ الأمويين والظالمين رسمَها.

فانتماء الزيدية إلى الإمام زيد عليه السلام ليس انتماء تقليد، كنسبة الحنفية إلى أبي حنيفة، والشافعية إلى الشافعي، والمالكية إلى المالكي، والحنبلية إلى الحنبلي، بل تلك النسبة اتباع للدليل والحجة، فإن أئمة الزيدية وعلمائها لما رأوا أن الإمام زيد أخذ أصوله ومبادئه من القرآن والسنة الصحيحة وحجة العقل، وقفوا عندها ووافقوا الإمام زيد في القول بها، وجعلوا نسبتهم إليه لكونه أول من سلك تلك المبادئ وسار عليها، فالنسبة نسبة افتخار واعتزاز، لا نسبة تقليد واتباع بغير دليل.

وتلك الأصول والمبادئ هي التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمته، وانتهجها الإمام علي عليه السلام بعده، وصرح بها في خطبه ومكاتباته، ثم تغلب الظلمة على الإسلام وأهله فأدخلوا فيه ما ليس منه، وأزالوا منه ما هو فيه، مراعاة لتثبيت قوائم عروش ملكهم.

ثم فتح ذلك الباب الإمام الحسين السبط الشهيد بن علي عليه السلام، ثم تغلب الظالمون مرة أخرى، ثم نفخ فيها روح الحياة ونعشها نعشة الدوام الإمام زيد بن علي عليه السلام، ثم سار عليها أهل البيت عليهم السلام إمام يتلو إماماً، وعالم يتلو عالماً.

وتلك الأصول والمبادئ كانت قد عبثت بها أيدي العابثين، ودنستها أقلام الكاتبين من أعوان الظالمين، وحاولوا أن يجعلوا بدلاً عنها مبادئ وأصولاً يَضْمَنُ

الملوك والسلاطين معها بقائهم متربعين على كراسي الملك وخلافة المسلمين، لأن تلك الأصول والمبادئ تشكل عليهم خطراً كبيراً، وهم بسببها يتوقعون في يوم من الأيام زوال ذلك على أيدي رجال يمشون عليها كما حصل ذلك.

لأن تلك الأصول والمبادئ تنكر على الظالمين أفعالهم وتصرفاتهم وتوعدهم وتتهددهم، فحاولوا إبدالها بما يُحَسِّنُ لهم قبيح أفعالهم، ويزين لهم شَينَ سِيَرِهِم.

فمن تلك الأصول الهامة التي ابتنى عليها مذهب الزيدية: التوحيد لله وتنزيهه وتقديسه عن مشابهة خلقه ومماثلتهم في ذواتهم وأعضائهم وصفاتهم وما يطرؤ عليهم من التغير والتبدل والزوال والإنتقال والهبوط والصعود والحلول في الأماكن والكون في الجهات، وتنزيهه أيضاً عن إحاطة خلقه به في ذات أو صفة فلا تقع عليه أبصارهم، ولا تحيط به أفكارهم، ولا تتخيله أوهامهم إلى غير ذلك.

ومن تلك الأصول: القول بعدل الله وحكمته، بتنزيهه وتقديسه تعالى عن الظلم والعبث والفساد، والتعالي عن خلق أفعال العباد، أو إجبارهم عليها أو الرضا والمحبة والإرادة للمعاصي والفساد، وأنه تعالى كلف عباده دون ما يطيقون، ووضع عنهم ما لا يستطيعون، وجعل لهم قوة واستطاعة على ما به تكليفهم، فلا يثيب ولا يعاقب أحداً إلا بعمله وفعله، ولا يساوي بين من أطاعه ومن عصاه من خلقه، ويبتلي عباده ويمتحنهم بقدر ما تتضمنه المصلحة والحكمة التي يعلمها تعالى لهم وغير ذلك.

ومن تلك الأصول: القول بصدق الوعد والوعيد، فالله لا يخلف الميعاد، فمن مات مؤمناً دخل الجنة خالداً فيها أبداً، ومن مات كافراً أو عاصياً مرتكباً

للكبائر غير تائب منها فهو من أهل النار خالداً فيها أبداً، ولا شفاعة لفاسق مرتكب للكبيرة، ومن دخل النار فلن يخرج منها بل يبقى مخلداً.

ومن تلك الأصول: الإيمان بنبوة الأنبياء عليهم السلام، وأن الله تعالى أرسلهم لبيان أداء شكره بما شاء من الشرائع على ما منَّ به من النعم، ويميز بذلك من يشكره ممن لا يشكره، وهم يتميزون بالصفات التي تكون أممهم أقرب إلى القبول من الكمال الخلقي والخلقي والصدق والأمانة والتواضع والفطانة وقوَّة التدبير، منزهين عمَّا يقدح في الأداء والتبليغ كالكذب وكثرة الشهوة والغفلة، والكتمان والزيادة والنقصان، ومواقعة الكبائر والصغائر المسخفة، والمباحات المنفرة نحو كثرة المزاح والمخالطة والهذر والحِرَفِ الوضيعة وأشباه ذلك، والطريق إلى معرفة الرسول هو ظهور المعجز على يديه عقيب دعواه النبوة، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم سيدهم وخاتمهم وأفضلهم، أيده الله بالمعجزات الخارقة التي منها القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو كلام الله ووحيه وتنزيله، أحدثه الله وخلقه، وليس بقديم.

ومن تلك الأصول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يعبر عنه بالخروج على الظالمين، وهو من الأصول المهمة، التي اشتهرت بها الزيدية واختصت به من بين طوائف الأمة، وبسببه تزلزلت عروش الظلمة.

ومن تلك الأصول: القول بالإمامة وهي من أهم وأكبر وأعظم أصول الزيدية، وامتازت به الزيدية عن كثير من الفرق، فهو يعد حلقة وصل، أو آلة فصل بينها وبين غيرها من الفرق، فإن الزيدية تتوافق كثير من الفرق معها في

كثير مما قدمنا من الأصول، فإذا وصل الكلام إلى باب الإمامة أقدم وأحجم، وناظر وبرطم، ولوى عنقه وتجهم، بل صار كثير من الناس في هذه الأزمنة يقول بالعدل والتوحيد والوعد والوعيد وإذا وصل إلى الإمامة قال بغير أقوال الزيدية فيها، وعد أمرها هيناً بسيطاً بالنسبة إلى غيرها، ويدعي مع ذلك أنه من الزيدية وإليها، ولكنه بعيد منها ولا ينتسب إليها.

فإمامة علي عليه السلام وخلافته على الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر لا تتنازل فيه الزيدية، ولا تقبل فيه المزايدة، بل أمره ودليله قوي واضح، ثم من بعده ولداه السيدان الشهيدان الإمامان قاما أو قعدا الحسن المسموم، ثم أخوه الحسين المظلوم، ثم هي في أولادهما محصورة فمن قام ودعا إلى الله، مجاهداً في سبيل الله، من ذريتهما، جامعاً لخصال الإمامة، فهو الإمام المفترض الطاعة، وليس لأحد من البشر غير ذريتهما حق فيها، ولا لغيرهم سبيل ولا طريق إليها.

ومن تلك الأصول والمبادئ: القول بتفضيل علي عليه السلام على كافة المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبعده في الفضل ولداه الحسنان وفاطمة الزهراء عليهم السلام، ثم أهل البيت، والزيدية لا تقول ولا ترى جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، ولا يختلفون في تخطئة ومعصية من تقدم علياً عليه السلام، ولا في كفر معاوية، وفسق الناكثين والمارقين وبقية القاسطين.

ومما يجدر التنبيه عليه والإشارة إليه هو ما يذكره بعض أهل الفرق من تقسيم الزيدية إلى فرق كجارودية وصالحية وغيرهما، فإن ذلك قول باطل وغير

صحيح، ولا دليل يدل عليه، فالزيدية ليست سوى فرقة واحدة، متفقة في أصولها ومبادئها، ولا اختلاف بينها في شيء من أساسيات مذهبها، ومن خالفها في شيء من ذلك فقد خرج عنها ومال، وللبحث مجال آخر.

وقد حد من انتشار المذهب الزيدي وقلل من شهرته تظاهر ملوك الجور وسلاطين الظلم على أهل البيت وأتباعهم، فأصول الزيدية ومبادؤها تشكل خطراً كبيراً عليهم، وعلى دوام ملكهم وظلمهم، فالزيدية توجب الخروج على الظلمة، وتقول بحصر الإمامة في أولاد البطنين، مع ميل كثير من الناس إليهم، حتى خافهم الظالمون، وحرصوا على محاربتهم بشتى الوسائل، من التخويف الشديد، والطرد والتشريد، والحبس والتضييق، والقتل والصلب، فكم من رجل من أهل البيت عليهم السلام شردوه وطردوه وأخافوه وقتلوه، مع ما يتمتع به أئمة الزيدية من دين رصين، وورع متين، وعلم غزير، وشجاعة وفضل، وصفات تؤهلهم لأمور لا يستحقها غيرهم، ولكونهم ممن لا تغرهم الدنيا، ولا يبيعون آخرتهم بدنيا غيرهم، فلم يخدعهم ما كان يبذله لهم أعداؤهم من الأموال الطائلة، والمناصب السامية، على أن يتركوا ما هم فيه، بل يرفضون ذلك كل الرفض، ويأبونه أشد الإباء.

ولم يكن الأذى والقتل والتخويف مقتصراً على أهل البيت عليهم السلام بل تعدى ذلك إلى كل أتباعهم ومحبيهم، ومن مال إليهم، أو اشتهر بالمحبة لهم، أو الإختلاف إليهم، أو الأخذ عنهم، مما سبب في أن يكتم الكثير من الأشياع والأتباع مذهبهم خوفاً على النفس، أو حفاظاً على المذهب، فلم يتمكن أهل البيت وأشياعهم من نشره، والدول إنما قامت على محاربته ومحوه وطمس آثاره.

أما بقية المذاهب فلا تشكل أي خطورة عليهم، بل كان أكثرها يخدمهم، ويوطد لهم أركان ملكهم، ويثبت قواعد سلطانهم، بل كان قادة وأتباع بعض المذاهب غير الزيدية دعاة ومجمعين ومحرضين للناس على السكوت والرضا بذلك الحاكم، وذلك السلطان، وإن أخذ أموالهم، وجلد ظهورهم، وفعل بهم ما فعل، بل إن البعض من السلاطين والملوك استطاعوا أن يؤسسوا مذاهب افتعلها لهم علماء السوء، وبنوها على تثبيت قواعد ملك الجبابرة، والمخالفة لمذهب الزيدية.

ومع كل ذلك فلا زالت أعلامه لائحة، وأدلته وبراهينه واضحة، ونجومه طالعة، وأنواره ساطعة، ولله الحمد **{يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}**(التوبة/٣٢)، **{يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}**(الصف/٨).

وليست الزيدية بالفرقة التي تهولها كثرة أعدائها، ولا تستوحش من قلة أتباعها، فالقلة والكثرة ليست دليلاً على حق ولا باطل، فالمعتبر معرفة الحق وتمييز الباطل قل الأتباع أم كثروا، فقد تعلمت من إمامها زيد الذي ألف كتاباً في الآيات التي ذكر فيها مدح القلة وذم الكثرة.

ولقد حازت الزيدية أعلى أوسمة الشرف، وأخذت أشرف الألقاب وأنفس الصفات، كما قال كامل أهل البيت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: (والله لو أن أبا القاسم صلى الله عليه وآله وسلم نفض التراب عن رأسه، ما وضع رحله إلا فيكم أيتها الزيدية، وإن الملائكة رابطة الله في السماء، وأنتم أيتها الزيدية رابطة الله في الأرض، ما يخاف أهل

الجور إلا منكم، ولا ترجوا الأمة الفرج إلا بكم)، وقال ولده الإمام إبراهيم بن عبد الله: (لو نزلت راية من السماء لم تنصب إلا في الزيدية)، وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (كل راية في غير الزيدية فهي راية ضلالة).

وعنه أيضاً: في قوله تعالى {**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ**}(الفتح/٧)، قال: جنود السماء الملائكة، وجنود الأرض الزيدية).

فسلام الله ورحمته ورضوانه على الإمام زيد بن علي يوم ولد، ويوم قتل، ويوم نبش، ويوم صلب، ويوم أحرق، ويوم ذر في الفرات، ورحمة الله على روحه الزكية الطاهرة التي جددت الدين، وفتحت الجهاد، وسلام الله ورحمته على الشهداء الذين استشهدوا معه؛ ولعنة الله على قاتليه ومبغضيه، ومن أعان عليه، وعلى الموالي لقاتليه ومبغضيه.

ونسأل الله تعالى أن يجعل الأعمال خالصة لوجهك الكريم، وأن يرزقنا حب محمد وآله، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى، ويثبتنا على الحق والهدى، ويجنبنا طرق الشر والردى، إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي وفقه الله

الاثنين/ ١/ صفر/ ١٤٤١هـ

الفهرس

تقديم ٤
مولده ونشأته ٨
الإمام زيد في الأخبار النبوية والعلوية ١٤
الآثار الواردة فيه عن جده علي عليه السلام ١٨
مكانة الإمام زيد عند أهل البيت وعند علماء الأمة ٢٠
أسباب خروج الإمام زيد عليه السلام ٣٤
لقاءات الإمام زيد (ع) مع هشام بن عبد الملك ٣٩
الإمام زيد والرافضة ٤٢
مقدمات البيعة وكيفيتها ٤٧
نص البيعة ٥١
خروجه عليه السلام وصفته ٥٢
منهجية الإمام زيد عليه السلام في قيامه وجهاده ٥٧
بداية سير المعركة ٦٧
فرسان الإمام زيد عليه السلام ومقتل بعض أصحابه ٧٠
١- نصر بن خزيمة العبسي ٧٠
٢- معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري ٧١
٣- بشر بن سالم العبسي ٧١
٤- أخوه عوف بن سالم العبسي ٧١

٥- حباب بن يزيد بن معتب السلمي ٧٢
٦- ربيعة بن جديد..... ٧٢
٧- سلام بن المنير ٧٣
٨- أبو السوداء النهدي..... ٧٣
٩- عمرو بن صالح الأشجعي ٧٤
١٠- عبد الله بن ميمون البجلي ٧٥
١١- عامر بن ربيع العذري..... ٧٥
١٢- أبو فروة الصقيل..... ٧٦
١٣- ربيعة بن سمير الكلابي..... ٧٦
١٤- القاسم بن كثير الحضرمي..... ٧٧
مقتل الإمام زيد عليه السلام ٨١
همجية الطغيان الأموي بعد المعركة..... ٨٣
النبش والصلب..... ٨٣
أفعال بني أمية برأس الإمام زيد ٨٥
موضع الرأس الشريف ٨٨
أفعالهم بمن له علاقة بالإمام زيد ٨٩
بعض كرامات الإمام زيد عليه السلام ٩١
انتقام الله من هشام بن عبد الملك ويوسف بن عمر ٩٧
معنى انتساب الزيدية إلى الإمام زيد عليه السلام ٩٩
بعض الأصول والمبادئ التي رسمها الإمام زيد عليه السلام..... ١٠١

الفهرس ١٠٩